الكاشيون

١٥٣٠ ـ ١١٦٠ ق٠م٠

الدكتور محمود حسين الامين
استاذ مساعد في قسم التاريخ ـ كلية الآداب

المصادر البابلية عن الكاشيين · موطنهم الاصلي · دويلتهم في خانه (عنه) · آلهتهم · بداية حكمهم في بابل · مركزهم السياسي · علاقاتهم الخارجية ومراسلات تل العمرنة · نهاية دولتهم · بلاد بابل في زمن الكاشيين · الطب البابلي ووفود العلماء · فن النحت والهندسة المعمارية · صناعات الاختام الاسطوانية وأحجار الحدود · الحياة الدينية والادب الديني · طبقة الكهنة · طبقة الكاهنات · الآداب والعلوم ·

توطئة :

لا يعرف التاريخ القديم بلداً ظفر بدرجات المجد وارتقى مدارج الحضارة والتقدم طوال عشرات من القرون وطبع البشرية القديمة بطابعه الثقافي والسياسي والديني لبضعة الاف عام ، قدر ما ظفرت به بلاد وادى الرافدين من سؤدد وما تبوأته من مكانة قيادية في العالم القديم منذ ظهور الكتابة الصورية في بلاد سومر في ٣٣٠٠ ق٠م . حتى سقوط نينوى سنة ٦١٢ ق٠م .

على ان طريق المجد الذى سلكه سكان بلاد وادى الرافدين في تاريخهم المديد لم يكن كله مؤزراً بالظفر ، مكللاً بالازدهار لاسيما حين كانت الفرصة تتاح لحكام غرباء ان يظفروا بزمام الحكم أو حين يغتصب السلطة سلطان جائر اجنبي أو تغير على البلاد جحافل الاقوام الهمجية من الشرق فتحرق المدن وتقتل الناس وتخرب المعابد والمدارس وتهدم السدود وتذهب بكل ما ابتدعته عقلية السكان وبنته ايديهم خلال اجيال عديدة ، كما فعل الكوتيون ـ الاقوام الشرقية التى اندفعت من وراء جبال بشتكوه

فقضت على الدولة الاكدية في حدود سنة ٢١٥٠ ق.م . ومحت كل ما انتجه الاكديون من فنون وعمران فاستحقت لعنة السومريين والاكديين على ممر الاجيال ، فما كان نعتهم اياها بثعابين الجبال مجرد كراهية شعب وديع لغازٍ أثيم محتل ، بل لانها احرقت في الحقيقة المدن ودكت معالم المدنية في البلاد ونهبت ثرواتها وسرقت الزوج من زوجها وسلبت الملكية (الحكم) من البلاد . هذا ما تحدث عنه السومريون فى كتاباتهم .

ان كل امة تصاب بالعثرات في طريقها الحضاري الطويل لان طاقتها الحضارية لا تسير أبد الدهر وفق سرعة معينة ثابتة ، فقد تتعرض للوهن فتسير وئيداً بل قد تتباطأ في سيرها لدرجة الركود . وهنا تدخل الامة في التجربة ـ تجربة الزمن وتجربة الفناء والحياة وتجربة الكفاية والجدارة بالنهوض تارة أخرى والسير بخطى متلاحقة لتتدارك ما فاتها من زمن وما اضاعته من فرص . وتجربة الزمن هذه أو تجربة الفناء والحياة هى التى اعتدنا نحن تلامذة التاريخ ان نسميها خطأً فترة الضعف والانهيار وهى الفترة التى تسود البلاد فيها الفوضى والاضطرابات ويدب التفسخ الى جسم الدولة وتتفكك فيها اوصال المجتمع بحيث تصبح الفرصة متاحة لغزو اجنبي أو لاقلية غريبة ممتهنة تستحوذ على الحكم كما حصل للكاشيين ـ العنصر الغريب من وراء الجبال الشرقية الذين سيطروا على الحكم في بلاد بابل وحكموها قرابة اربعة قرون ، كانت من اخطر فترات التجربة التى مرت على بلاد وادى الرافدين والتى لا تقل خطورة عن الفترة التى عاشها العراق في تاريخه الحديث بين ١٤ تموز ١٩٥٨ و ٨ شباط ١٩٦٣ ، مع فارق واحد هو الزمن ووعي الشعب السريع النفاذ في خروجه من التجربة الاخيرة . ولشدة ما يبعث القارىء على الدهشة والاستغراب حين يجد في موضوعنا هذا تشابه الدور السياسي الذى لعبه الكاشيون في العلاقات الدولية بين شعوب الشرق الادنى القديم ولاسيما بين بلاد آشور وبلاد وادى النيل ، مع الدور الذى لعبه الحكم الشعوبي الاجرامى والاوليگارشي الاخير في احلال الفتنة والفرقة بين دول الشعب الواحد في منطقة الشرق الادنى العربية .

المصادر البابلية عن الكاشيين :

تشير المصادر التاريخية الى ان الكاشيين كانوا معروفين في زمن حمورابي وكانوا يعيشون في بلاد بابل ويتعاطون مختلف الحرف فقد كانوا يشتغلون في الزراعة ارقاء وخدماً ويتعاطون التجارة . فهناك رقم من الطين تحتوى على عقود لمعاملات البيع والشراء ترجع الى زمن حمورابى وتحمل اسماءً كاشية ممن كانوا يتاجرون بالخيل ، وهى الحيوانات التى لم يكن يعرفها البابليون من قبل وقد ادى اشتغالهم بالتجارة الى انتشارهم فى بلاد بابل .

كذلك اشارت المصادر التاريخية من السنة التاسعة لحكم الملك شمسو ايلونا بن حمورابى الى وجود الكاشيين فى بلاد بابل وتحدثت عن اصنافهم وما خلا هذه المصادر فانه ليست لدينا أخبار تاريخية مدونة تبين لنا كيفية مجيء الكاشيين الى هذه البلاد واقامة دولتهم فيها ، أو انهم أستولوا عليها عن طريق الحرب والغزو . ولكننا نعرف ان العنصر الكاشى ازداد في خلال القرن الخامس عشر قبل الميلاد أى في زمن حكم الملوك المتأخرين من سلالة بابل واخذت اسماؤهم تتردد في كثير من العقود والوثائق ومعاملات البيع والشراء المدونة على رقم الطين وعرفنا من هذه الرقم انهم كانوا يعملون في الفلاحة فلاحين بالاجرة او عبيداً للارض وهذا ما يجعلنا نعتقد بان الكاشيين تغلغلوا في بلاد بابل بطريقة سلمية ، كالهجرة ، بدافع الحاجة الاقتصادية أو تحت وطأة المناخ أو انهم اندفعوا أمام موجة غازية من الشعوب المهاجمة من جهة الشرق ، فاتجهوا الى بلاد بابل ولربما كان هذا التغلغل قد حدث بعد وفاة حمورابى في زمن ابنه شمسو ايلونا كما اسلفنا ، لان الدولة البابلية الاولى تضعضعت قوتها بسبب الثورة التى نشبت في السنة السابعة من حكمه في المنطقة القريبة من بلاد عيلام . فقد ثار هناك أمير يعرف باسم نرامسن (الثانى) ولعله احد احفاد رمسن

المشهورة ، فاستولى على ايسن[1] ومدينة كيش[2] واضطر شمسو ايلونا الى محاربته مدة ثلاث سنوات حتى استطاع القضاء عليه . كذلك انسلخ القسم الجنوبي من بلاد بابل والمعروف ببلاد البحر ، عن سلطان بابل في زمن شمسو ايلونا واستقل بقيادة ايلونا ايلو الذى اسس سلالة بلاد البحر[3] وقد بقيت هذه السلالة في اثناء حكم الكاشيين لبلاد بابل .

هاجم الكاشيون بلاد بابل في السنة التاسعة من حكم الملك البابلي شمسو ايلونا أي في سنة ١٦٧٦ ق.م. ولكنهم اخفقوا في الاستيلاء عليها فاندفعوا نحو الشمال الغربي واستقروا في اواسط نهر الفرات حول بلاد ماري واسسوا هناك دولة عرفت بدولة خانا (عنه) وظهر لهم فيها ثمانية ملوك قبل ان تسقط الدولة البابلية على يد مرشيلي الاول ملك الحثيين سنة ١٥٣١ق.م. وكان من ملوكهم كنداش وآكوم الاول وكشتلياش الاول وابى رتاش وهي أسماء هندو ايرانية[4] .

وفي سنة ١٥٣١ ق.م . هاجم الملك الحثي مرشيلي الاول بلاد بابل فساعده الكاشيون القاطنون في أواسط نهر الفرات وكذلك الخوريون ، وقام الكاشيون القاطنون فيما وراء جبال زاجروس بهجوم على بلاد بابل وبذلك مكنوا الحثيين من الاستيلاء على العاصمة بابل وكانت يومذاك تحت حكم الملك شمسو ديتانا آخر ملك من سلالة بابل الاولى . وقد اشارت سجلات الرقم الطين في العاصمة الحثية ختوشش (بوغازكوي) في أواسط آسيا الصغرى الى نهاية الدولة البابلية على يد الحثيين وحلفائهم الكاشيين .

آلهتهم :

يتبين من اسماء آلهة الكاشيين وواجباتها بانها غريبة في تسميتها

---

(١) ايسن وتسمى ايشان البحريات وتبعد بمقدار ٣٠كم الى اليمين من وسط الطريق من الديوانية الى عفك وهي من أهم المدن السومرية والاكدية وقد نشأت فيها سلالة ملكية عرفت باسمها استغرقت زهاء قرنين من الزمن (١٩٥٩ ـ ١٧٣٥ ق.م) .

(٢) وتعرف باسم تل الاحيمر وتقع بالقرب من بلدة المسيب .

(٣) راجع :ـ King, Chronicles I, pp. 66.

(٤) راجع :ـ Unger, Assyrien und Babylonien.

وواجباتها عن اسماء الآلهة السومرية والاكدية والبابلية والاشورية وليس في اسمائها واصولها ما يشير الى صلتها بآلهة شبه الجزيرة العربيـــة أو بالاسماء المنتشرة فيها . وتشير نهايات تركيبها « آش » الى مصدرها الهندو آري وتدخل في اسماء ملوكهم المركبة فتكون اسمها الاخير . والآلهـة الكاشية هي : انداش Indash وبگاش أو بغاش Bugash وبورياش Buriash الذى يعني سـيد البلاد ومرّوتّاش Marruttash الذى يقابل الاله مردوك عند البابليين وقد ورد اسمه في القرآن الـكريم باسم ماروت . وساخ Sakh وشرياش Shuriash الذى هو الاله الشمس (شماش) وهو الاله سُريّا « ثريّا » نفسه عند الهنود .

موطنهم الاصلي :

كان الموطن الاصلى للكاشيين في القرن السابع عشر قبل الميلاد في القسم الغربى من جبال زاجروس واستوطنوا بالقرب من منطقة تعرف باسم توپلياش Tupliash واطلقوا على بلاد بابل عند احتلالهم إياها اسـم كاردونياش Kar-Duniash . وقد اخذ الآشوريون فيما بعد يطلقون هذا الاسم على بلاد بابل اهانة . واغتنم الكاشيون فترة الضعف والاضمحلال التى حلت ببلاد بابل فتفيدنا الاخبار الخاصة ببلاد عيلام اذ تقول بانهـا تعرضت لغزو قبائل الـكشو Kashshu في زمن حكم أمي صدوقا ، الخليفة الرابع لحمورابي . والكشّو قبائل هندو آرية سكنت الجبال المنيعة الواقعة في الجهة الشمالية الشرقية من العراق وقد كانت تعرف ببلاد كشّو نسبة الى الههم كشّو ثم انحدروا الى المنطقة التى تعرف اليوم ببلاد لورستان وأصبحت تعرف عند الاغريق باسم بلاد كشّاي . على ان موطنهم قبل القرن السابع عشر قبل الميلاد كان بالقرب من بحيرة قزوين ومناطق جبال القفقاس اذ ما تزال هناك بقايا من لغة الكاشيين تشير الى صـلتهـا الوثيقة باللغـات القفقاسية ، وهذا ما يظهر بوضوح فى قائمة المفردات الكاشية المترجمـة الى اللغة الاكدية التى وصلت الى ايدي المؤرخين عن طريق الحفريـات . كذلك تشير اسماء آلهتهم واسماء ملوكهم والاشخاص المدونين في الوثائق الى صلتهم القريبة ببلاد القفقاس . فأسماء آلهتهم كالاله شرياش هو الالـه

سريا « ثريا » الاله الشمس عند الهنود والاله مرّوتّاش هو الاله ماروت وكذلك الاله برياش الذي هو نفسه عند الاغريق . تضاف الى ذلك أسماء الطبقة الحاكمة التى هى هندو آرية وقريبة الشبه باسماء الملوك الخوريين الذين عاصروهم . ومع ذلك كله فان معلوماتنا عن ثقافة الكاشيين وحضارتهم تكاد تكون معدومة لانهم انصهروا في الحضارة البابلية وثقافتها ولم يكونوا يملكون شيئا من مظاهر الحضارة وكان ديدنهم الاغارة على ثغور الحضارة في بلاد وادي الرافدين ونهب مدنها ، شأنهم في ذلك شأن جميع القبائل الهندو آرية التي كانت تعيش وراء جبال زاجروس وبشتكوه . وما من شك في ان الكاشيين استوطنوا قبل دخولهم العراق بلاد ميديا وبلاد زاجروس وليس لدينا شيىء من آثارهم نصوص ادبية كانت أم تاريخية أم دينية ، لانهم لم يعرفوا الكتابة ، ولذلك فقد عدهم المؤرخون اقواماً غفلاً لاحضارة لهم .

تاريخهـــم :

ان تاريخ الكاشيين غامض لحد الآن لما تكتنفه من ادوار وفترات مظلمة لا نعرف عنها شيئا ولاسيما تاريخ ملوكهم وهذا يرجع الى قلة الحفريات في عاصمتهم دور كورى كلزو (عقرقوف) التى تحتوى على الآثار والسجلات الكثيرة من تاريخ الكاشيين وعلاقاتهم ومراسلاتهم مع فراعنة بلاد وادى النيل وملوك الحثيين والآشوريين ، كما تنقصنا المعلومات عن ملوكهم ولاسيما الاولين منهم ، كالمؤسس الملك گنداش Gandash وخلفائه اوشّى Aushshi وابى رتّاش Abi Rattash وتشّي گورواش Tashshi - Guruash واگوم الثاني ولكن ما زالت هناك فجوات كثيرة من تاريخ الكاشيين وكل ما نعرفه هو تاريخ الملوك الكاشيين الذين لهم علاقة بالملوك المعاصرين من الآشوريين والحثيين والميتانيين والخوريين والمصريين والفضل فى ذلك يعود بالدرجة الاولى الى المراسلات الملكية التى وجدت في تل العمرنة وختوشش (بوغازكوي) حول العلاقات الدولية بين ملوك الكاشيين وملوك مصر والحثيين .

كان اگوم الثانى الذى عرف باسم آگوككريمي Agukakrime

في قائمة الملوك البابليين قد ساعد مرشيلي الاول الملك الحثي على غزو بابل سنة ١٥٣١ ق.م. وهو أحد الملوك الكاشيين الثمانية الاوائل الذين كانوا يحكمون على زعم احدى الروايات التاريخية في ما وراء جبال زاجروس المتاخمة لبلاد بابل أو الذين كانوا على زعم الروايات التاريخية الاخرى يحكمون في مملكة خانا (عنه) . وقد اندمج الحكام الجدد لبلاد بابل بالحضارة البابلية وساروا على نهج الملوك البابليين وانتحلوا القابهم الملكية . فالملك اكوم الثاني لقب نفسه : ملك الكاشيين والاكديين وملك بلاد بابل الواسعة وملك پادان Padan والوان Alwan وملك بلاد الگوتيين . وقد قام هذا على الفور بارجاع تمثال الاله مردوك والاله سرپانيتم Sarpanitum زوجه الى بابل وأمر بحملها من مدينة خانا وكانا زنن الذهب فباعهما مرشيلي الاول الى الكاشيين في خانه ، فنصبهما اكوم الثاني في معبد ايزاگيلا حيث جدد بناءه ليكسب بذلك رضا البابليين .

وفي سنة ١٤٥٠ ق.م . استطاع الملك الثاني عشر وهو الامبورياش Allamburiash تجريد قوة عسكرية على مملكة بلاد البحر القوية التي استقلت في عهد شمسو ايلونا ودحر ملكها ايا جميل Ea - Gamil الذي هرب الى بلاد عيلام وتمكن خليفته آگوم الثالث Agum III من القضاء على دولة بلاد البحر والاستيلاء على دور ايا Dur Ea [1] . وازدادت قوة الدولة الكاشية واصبحت مرهوبة الجانب ، حتى ان الملك الثالث عشر كريندش (١٤٢٠ - ١٤١٠ ق.م.) عين الحدود بينه وبين الآشوريين الذين كانوا تحت نفوذ الخوريين والميتانيين وصارت لملوك الكاشيين مكانة محترمة في بلاد الشرق فمن ذلك ان امينوفيس الثالث ١٤١٣ - ١٣٧٧ ق.م . فرعون مصر طلب الزواج من ابنة الملك الكاشي كريندش وبعث له المهر هدية ثقيلة من الذهب وقد أفاد كريندش من كمية الذهب هذه التي كانت رغبة الملوك الكاشيين شديدة في الحصول عليها دائماً لكي يستخدمها في البناء .

---

(١) لربما كانت دور ايا الموقع الاثري المعروف اليوم بتل اللحم الذي يقع على سكة قطار البصرة شمالي الشعيبة .

قسم من واجهة معبد اننا « عشتار » في الوركاء الذي بناه كريندش

فقد شيد في الوركاء معبداً للالهة اِننّا « عشتار » وقسم من واجهته معروض في المتحف العراقي ويتكون من دخلات وطلعات تقف بينها على جبل ، الالهة نن خرصاك سيدة ينابيع الجبال وبيديها الاناء الفوّار بماء الحياة ولعلهـــا الالهة اِننا كذلك ؟ ومن الدلائل الاخرى على تمتع الكاشيين بمكانة محترمة بين دول العالم القديم يومذاك ، هو تملق فراعنة مصر لملوكهم ومناداتهم اِياهم بكلمة « اخي » على الرغم من ان الفراعنة المصريين كانوا اقوياء وقتئذ وكان اعتقاد الناس الديني فيهم بانهم آلهة بشر لا يزال قوياً . ولذلك فان صيغة المخاطبة هذه تنازل كبير من الاله البشري فرعون مصر ابن الاله الشمس آمون او رع ، ان يسمي احداً من البشر اخاً له وهذا ما نجده في سجلات العمرنة ، التل الاثري الذي يقع على بعد ٢٨٠ كم جنوبي القاهرة على النيل حيث وجدت في هذه السجلات المراسلات الملكية المشهورة ومن بينها رسائل تبودلت بين فراعنة مصر وبين امينوفيس الثالث والرابع (١٤١٣–١٣٥٨) ق.م. وبين ملوك الكاشيين وملوك سوريا والحثيين[1] . فالمراسلات الملـكية بين طيبة وبابل تلقي ضوءاً على العلاقات الدولية بين مصر وبلاد وادي الرافدين من جهة وبين بقية دول الشرق الادنى من جهة أخرى . وكذلك تظهر لنا العلاقات الطيبة بين بلاطي طيبة وبابل وروح الوئام التي كانت تسودهمـا من وقت الى آخر وفيها معاتبات لطيفة خفيفة كالتي تجرى بين اعز الاصدقاء والمحبين ولكنها كانت لا تخلو مع ذلك من نكوث بالعهود والمواثيق واساءة العلاقات حين تصطدم المصالح ، فمنها :ـ

ان فرعون مصر امينوفيس الثالث يتملق للملك الـكاشي كريندش بان يسمح له بالزواج من ابنته ونرى على نقيض ذلـك كدشـمان خربي الاول يغضب ويكتب الى الفرعون معاتبا حين يرفض هذا تلبية طلبه ثم يتراجع عن غضبه ويطلب منه ان يرسل له فتاة جميلة يدعى بها امام الناس بانها اميرة مصرية وفي هذا نجد الملك الكاشي يوجه الى فرعـون مصـر

(١) في سنة ١٨٨٧ ميلادية عثرت فلاحة مصرية على عدد كبير من رقم الطين مكتوبة بالخط المسماري وباللغة البابلية في مكان يعرف باسم العمرنة .

الرسالة التالية : « انظر ! اذا كنت يا اخى لا تعطينى ابنتك لاتزوجها وتكتب لى انه منذ اقدم الازمان لم تعط بنت ملك مصري لاحد ، لماذا تقول هكذا ؟ انك ملك وتستطيع ان تفعل ما تشاء ، فلما بلغتنى كلماتك كتبت الى اخى ان عندك بنتا كبيرة ، كذلك هناك نساء جميلات ارسل لي حسب اختيارك اى امرأة جميلة . من يستطع ان يقول هنا انها ليست بنت ملك ؟ » .

كانت هذه الرسالة موجهة من الملك الكاشى كدشمان خربي الى فرعون مصر امينوفيس الرابع (اخناتون) ويظهر أنه رد الطلب ايضاً ولكن العلاقات بقيت مع ذلك حسنة بين البلاطين اذ ان الملك كورى كلزو خليفة كدشمان خربي يرفض طلب المدن الكنعانية المتحدة في سوريا ، من الكاشيين ان يدخلوا الحرب بجانبهم ضد مصر .

كورى كلزو الاول ١٣٨٠ - ١٣٧٠ ق.م. :

لقب نفسه بملك الكل ، رسول سيد الآلهة وقد كان ملكاً قوياً غزا سوسة وشيد فيها قصراً للالهة نليل زوجة الاله إنليل ليبارك في حياته . ولكى يأمن شر الآشوريين في الشمال فقد شيد حصناً كبيراً على الحدود بين الدولتين الكاشية والآشورية اطلق عليه اسمه فسماه دور كورى كلزو أى حصن كورى كلزو . وبنى فيه معبداً مدرجاً (زقورة) وشيد فيه عدداً من القصور وقد توسع الحصن الى مدينة واسعة الارجاء طغت شهرتها تقريباً على بابل والمدن البابلية الاخرى القديمة وتعرف اليوم اطلال دور كورى كلزو باسم عقرقوف وقد قامت مديرية الآثار القديمة العامة سنة ١٩٤١ بحفريات فيها ، كشفت عن عدد من القصور وقسم من المعابد المحيطة بالزقورة . وعثرت على عدد من رقم الطين وقطع لتمثال ضخم للملك كورى كلزو يحمل كتابة سومرية وما من شك في انه لا تزال هناك في غرفة ما من غرف بلاط الملك كورى كلزو أو خلفائه نسخ كثيرة من المراسلات المسجلة على رقم الطين المكتوبة بالخط المسماري وباللغة البابلية والتى تبودلت بين الملوك من اسلاف كورى كلزو وبين امينوفيس الثالث

نقلت من بابل عند انتقال العاصمة الى المدينة الجديدة وهي بحاجة الى من ينقب عنها لتكشف لنا صفحات جديدة أخرى من العلاقات بين بلاد النيل وبلاد الشرق الادنى .

اهتم كورى كلزو ببناء المعابد فشيد عدداً منها فى اريدو وفى الوركاء واور ونفر وقد جاء فى احدى كتاباته التى يمجد فيها الالهة عشتار بانها السيدة العظيمة التى تسير بجانبه وتحافظ على جيشه وتحمى رعيته وتقهر اعداءه . وقد اصبحت مدينة دور كورى كلزو بعد فترة خمسين سنة من المدن المهمة في بلاد وادى الرافدين .

صادف ازدهار بلاد كاردونياش أو بلاد بابل تحت حكم الكاشيين في الزمن الذى ازدهرت فيه الحضارة المصرية في زمن امينوفيس الثالث والعصر المعروف بعصر العمرنة وهو العصر الذى يقع في حكم السلالة الثامنة عشرة وينحصر بين سنة ١٣٧٧ و ١٣٤٥ أى حكم امينوفيس الرابع (اخناتون) وخلفائه الذين ساروا على عبادة الاله آتون . كذلك يصادف اوج عظمة الدولة الحثية على يد الملك شوبي لوليوما القوى وقد كان يحكم الكاشيين يومئذ الملك بورنا بورياش الثانى الذى لعب دوراً مهماً في توازن القوى المتصارعة في بلاد الشرق الادنى القديم وعاصر امينوفيس الرابع . وبالنظر الى سخط الكهنة فى طيبة على الفرعون الجديد والاستياء الذى عم البلاد بسبب اصلاحاته الدينية والدعوة الى عبادة الاله آتون الاله الشمس وتجريد نفسه من الالوهية ، فقد انشغل عن السياسة الخارجية بالوضع فى الداخل وقد كان عليه ان يقوى حلفه مع الكاشيين لكى يخفف من ضغط الحثيين على بلاد سوريا التى تعد منطقة حيوية بالنسبة الى مصر . غير ان انشغال امينوفيس الرابع بشؤون البلاد الداخلية كما اسلفنا جعله يهمل حلفه مع الكاشيين ويقلل اهتمامه بهم في حين كان الكاشيون فى أمس الحاجة الى تأييد مصر لاسيما وان نفوذ الميتانيين في شمالى الهلال الخصيب لا يزال قوياً وكانت سياسة توازن القوى تقضى بان يظل هؤلاء اعداءً للحثيين . وقد اثر انسحاب مصر من الشرق الادنى وانشغالها عن حلبة الاصطراع

السياسي ، تأثيراً كبيراً على مركز الكاشيين وشعر الملك الكاشي بورنا بورياش بهذا الاهمال من جانب مصر وخيم الفتور السياسي على العلاقات بين بلاد بابل وبلاد وادى النيل وهذا ما نتبينه من احدى رسائل العتاب التي وجهها بورنا بورياش الى امينوفيس الرابع لان العلاقات الشخصية تتحكم بالعلاقات بين الشعوب حينما يكون الحكم فردياً صمدانيا كالحالة التي مرت على العراق بين تموز ١٩٥٨ وشباط ١٩٦٣ .

فقد صادف ان مرض بورنا بورياش فلم يسأل عنه اخناتون ويستفسر عن صحته فتأثر بورنا بورياش وارسل لفرعون مصر رسالة العتاب الآتية :ـ

« عندما كان جسمي مريضاً ولم يسأل عني اخي جعلت غضبي ينصب على اخي . كيف لا يسمع اخي بانني مريض ؟ لماذا لم يرفع رأسي ؟ لماذا لم يرسل رسله ويستفسر عني ؟ » .

ثم ارسل له رسالة عتاب اخرى حين جاءه رسوله فكتب له فيها يقول :ـ

« لقد انحرفت صحتي منذ اليوم الذي جاء فيه رسول اخي ولم يشجعني اخي طوال المدة التي بقيت فيها صحتي منحرفة ولهذا استأت من أخي وقلت الم يسمع أخي انني مريض لماذا لم يبعث لي رسولاً ولم يظهر اهتماماً بي . وقد اجاب رسول اخي عن ذلك بقوله : ان مصر ليست قريبة لكي يسمع اخوك بمرضك ويرسل اليك رسولاً يستطلع اخبارك . والحق انني استفهمت من رسولي بعد ذلك فقال لي « انها رحلة طويلة جداً » فمنذ سمعت ذلك لم يبق في نفسي استياء من اخي » .

والملاحظ في هذه الرسالة اننا نجد ملك بابل يتحرق شوقاً الى كلمة طيبة تأتيه في اثناء مرضه من فرعون مصر ولا يكاد يصبر على هذا الشوق الا بعد ان يعلم ان الشقة بين البلدين بعيدة وان فرعون مصر معذور لهذا السبب اذا هو لم يرسل اليه مستطلعاً أخباره . كذلك فان اسلوب الكتابة يلفت النظر لانه يكرر كلمة أخي ست مرات في سبعة أسطر فهو يشبه اسلوب التوراة .

ويظهر اهمال مصر للدولة الكاشية من رسائل اخرى يوجهها الملك الكاشي الى فرعون مصر عن قلة كمية الذهب التي يرسلها له وعن نهب القافلة البابلية في فلسطين الخاضعة للسيطرة المصرية ثم نرى في رسالة أخرى طلب فرعون مصر مرة اخرى لأميرة بابلية فيجيبه الملك الكاشي بالموافقة ولكنه يطلب منه مهراً باهضاً من الذهب . ثم يستمر التوتر في العلاقات بين البلدين أي بين الملك اخناتون والملك بورنا بورياش الثاني لدرجة ان بورنا بورياش يكتب له فيقول :ـ

« حينما كان والدي كوري كلزو حياً ارسل له ملك كنعان رسولاً قال له : هيا ندخل مدينة كارميشان ولنحارب الفرعون سوية » . فبعث اليه أبي يقول « لا تفكر في الاتفاق معي فان كنت تريد معاداة ملك مصر فابحث لك عن حليف غيري . اما انا فاني لا اسير في هذا ولا أدمر بلاد ملك مصر لانه حليفي » . وهكذا رفض والدي وأبي ان يصغى الى ملك كنعان حباً بك . والآن فان ملك آشور تابع لي ولست في حاجة لان أقول لماذا هو يطلب صداقتك فان كنت تحبني فلا تعقد معه معاهدة واطرده بعيداً جداً » .

ثم يستمر الفتور السياسي بين البلدين ولاشك ان سببه الدولة الآشورية كما يبدو من الرسالة آنفة الذكر فقد اخذ الآشوريون يستجمعون قواهم لتثبيت شخصيتهم في ميزان سياسة القوى يومذاك باعتبارها السلطة الوحيدة التي التفت حولها آمال الاحزاب القومية الآشورية لتحرير البلاد الآشورية من النفوذ الحثي والنفوذ الكاشي والتفوا حول الملك آشور أو بلط الاول (١٣٦٣ـ١٣٢٨ ق.م.) الذي تجسدت فيه جميع الامانى القومية الآشورية في تحقيق وحدة بلاد وادي الرافدين بزعامة الآشوريين والقضاء على الحكم الاجنبي في بابل . ولتحقيق هذه الاهداف فقد وضع آشور اوبلط نصب عينيه خلق جيش قوي يكون قوة ضاربة في الشرق الادنى واتباع سياسة المهادنة والاحلاف التي هدفت الى استمالة مصر والتحالف معها ضد الكاشيين والحثيين الذين كانوا يطمعون بالسيطرة على شمالي سوريا وبلاد آشور ثم عزل الكاشيين وادخالهم تدريجيا تحت النفوذ

الآشورى . وقد شعر الكاشيون بهذا الخطر المهدد من الشمال ولذلك فقد طالب بورنا بورياش الثانى فرعون مصر امينوفيس الرابع بطرد الوفد الآشورى المفاوض كما جاء فى رسالته . ويبدو ان الاحداث سارت بسرعة يومذاك في غير صالح الكاشيين اذ لم يلق بورنا بورياش تأييداً مشجعاً ومساندة من جانب فرعون مصر الذى كان نفسه متورطاً بمشاكله الداخلية ولذلك فانه يوجه له الرسالة الآتية :ـ

« ان الاخوة والصداقة والتحالف علاقات تبقى طيبة بين الملوك فقط ، كلما ثقلت موازين الهدايا من الاحجار الكريمة والفضة والذهب » .

ويضطر الملك الكاشي بورنا بورياش الثانى الى التقرب الى الملك آشور اوبلط فيتزوج بنته حتى يأمن جانب الآشوريين فتثور ثائرة فرعون مصر لهذا الزواج السياسى الذى عده خسارة كبيرة بالنسبة الى مركز مصر في الشرق الادنى ومصالحها وعده عملاً عدائياً موجها نحوه فيعاتب الملك الكاشى على هذا الزواج ويصمه بانه اصبح تحت سلطان الملك الآشورى فيجيبه بورنابورياش بان الدولة الكاشية ليست صنيعة للدولة الآشورية وكل ما هنالك انه تزوج اميرة آشورية هى ابنة الملك الآشورى آشور اوبلط .

كان بورنابورياش ملكاً ذكياً وسياسياً حاذقاً وكان من البناة ، فقد بنى في مدينة لارسا معبداً كبيراً للاله شماش جدده الملك البابلي نابونائيد بعد مضى ٨٠٠ سنة . وما من شك في ان بونابورياش اتبع سياسة حكيمة في ابعاد مملكته عن الفتن وعدم زجها في حروب لا تعود عليه بالفائدة ولكن سياسته مع الآشوريين اثمرت بعد وفاته نتائج قاسية بالنسبة الى الدولة الكاشية فقد نشبت ثورة في بابل بعد وفاته ذهب ضحيتها خلفه وكان ابنه كما كادت تطوح بالعرش فتدخل آشور اوبلط لقمع الثورة ونصب الابن الاصغر للملك بورنا بورياش على العرش وهو ابن بنته وكان اسمه كورى كلزو صخرو أى كورى كلزو الصغير .

واستطابت له الايام طالما كان جده الملك آشور اوبلط في قيد الحياة ،

الا ان الدولة الكاشية لقيت متاعب جمة اثر وفاة الملك الآشورى فقد ساءت العلاقات بين الدولتين وتمخضت عن قيام حـــرب عنيفة بينهما . وتدعى المصادر الآشورية انتصار الآشوريين على الكاشيين ، غير ان المصادر التاريخية الموالية للكاشيين تدعي ان كورى كلزو صخرو انتصر على الآشـــوريين ودحر الملك الآشورى ادد نيرارى وآل الامر الى عقد معاهدة وقعت على الحدود الآشورية . وقد انتهز العيلاميون الذين كانوا يتربصون ببلاد بابل ، فرصة انشغال الكاشيين بالحرب مع الآشوريين فهاجموا بابل وبورسيبا ولكن الجيوش الكاشية (البابلية) تصدت لهـم وقضت عليهم واســرت قائدهم خورباتيلا .

وخلفه نازى مرّوتاش الثانى ١٣٢٠ – ١٢٩٥ق.م. وقد ازدهرت العلوم والآداب فى عهده وحاول ان يجنب بلاده المتاعب ولـكنه اندحـــر على ما يبدو في حروبه مع الآشوريين التى كانت فيها نهايته كذلك ، وقد استطاع الملكان اللذان خلفاه على الحـكم انتزاع البلاد من حكم الآشوريين بفضل تحالف الكاشيين مع ختوشيلى الثالث ملك الحثيين على الآشوريين وهـذا ما يتضح من رسالة سياسية تبودلت بين الملك الحثى والملك الكاشى .

حاول ختوشيلى الثالث الاستيلاء على بلاد الكاشيين الا انه من حُسن حظ الكاشيين ان يكون عندهم وزير اشتهر بمناوراته السياسية وكان اسمه إتّي مردوك بلاطو فقد استطاع هذا ان يبعد خطر الحثيين عن بلاد بابل ولـكن النصوص التاريخية تشير الى ان بلاد الكاشيين دخلت تحت حـكم الآشوريين في زمن ملـكهم توكلتى نن اورتا الاول ١٢٤٣–١٢٠٧ حيث هاجم هذا بلاد بابل واستولى عليها ولم يستطع ملكها كشتلياش ١٢٤١ – ١٢٣٢ الصمود امام الجيوش الآشـورية فســقط اسيراً بيـــد خصمه . ويقول توكلتى نن اورتا في بلاغه الحربي : « واسرت في هذه المعركة كشتلياش ملك الكاشيين وقبضت عليه بيدى ودست على خناقه الملكى برجلى كما ادوس على الـكرسى وجلبته امام آشور مكبلاً بالاغلال » . وقد نشبت ثورة عنيفة في بابل فسار توكلتى نن ارتا لاخمادها وقضى عليها قضاءً تاماً

وهدم أسوار المدينة وأمر بتهجير عدد كبير من سكانها ثم نهب المدينة وجلب معه كنوز المعابد وحمل تمثال الاله مردوك الى مدينة آشور حيث بقي فيها قرنا كاملاً وبذلك قضى على الحياة الدينية في بلاد بابل وعطل عبادة الاله مردوك واطلق توكلتى نن اورتا على نفسه لقب ملك بابل ووضع على المدينة والياً يحكم باسم الملك الآشورى .

وذكرت المصادر البابلية خبر اغتيال الملك توكلتى نن اورتا على يد أحد أولاده اثر ثورة عنيفة نشبت فى بلاد آشور ولكن ذكرها خبر الاغتيال هذا كان تشمتاً عزتها الى انتقام الاله مردوك للاعمال الفظيعة التى ارتكبها حيال سكان بابل والاله مردوك . وقد طرد البابليون الوالى الآشورى بعد سبع سنوات من ولايته وانتصروا فى صد هجوم شنه عليهم العيلاميون واستطاعوا بالاتفاق مع الحزب المتآمر الحاكم في آشور تنصيب احد اولاد الملك الكاشى الذى اسره توكلتى نن اورتا ملكاً على بابل . واقام البابليون تمثالاً جديداً للاله مردوك ، اما التمثال القديم فقد عاد الى بابل بعد غياب دام مائة عام كما اسلفنا فعاد الناس الى عبادتهم واقامة شعائرهم الدينية وتحسنت الاحوال الاقتصادية في بلاد بابل اثر انهيار الدولة الحثية ، في حوالى سنة ١٢٠٠ ق.م . واصبحت بابل مركزاً مهما للتجارة فى حين تدهورت الحالة الاقتصادية في بلاد آشور وسادت فيها الفوضى والاضطرابات . واستعادت بابل قوتها على يد ملكها أدد شمو ناصر (١٢٢١ - ١١٩٢ ق.م) الذي استطاع التدخل في شؤون الدولة الآشورية فبسط نفوذه على الملك الذى خلف توكلتى نن اورتا على العرش الآشورى وقد كان آشور نادن أپلى (١٢٠٦ - ١٢٠٣ ق.م) تتبين ذلك من مخاطبته للملك الكاشى في رسالة وجهها اليه ، بالسيد والملك وبملك الكل . غير ان حياة هذين الملكين انتهت في حرب وقعت بين الدولتين الآشورية والكاشية ، إذ قتل الملكان أحدهما الآخر فيها بالمبارزة .

وقد تسنم العرش الكاشى الملك ميلى شپاك الذى حكم من١١٨٣-١١٦٩ ق.م . انشغل هذا الملك بجمع المال وامتلاك العقارات الواسعة وقد تميز

عهده بنهاية الدولة الكاشية ولكن ليس على يد الآشوريين بل على يد العيلاميين اذ هاجم القائد العيلامي شُترك ناخونتي البلاد البابلية ودحر القوات البابلية وتقدم الى مدينة سپار (تل ابى حبة) التي تقع بمسافة خمسين كيلو متراً الى الشمال الغربي من بابل ونصب ابنه ملكاً على البلاد . ونهب كل ما وقعت عليه يده ، حتى أن التماثيل والنصب التذكارية لم تسلم من شره اذ أخذها اسلاباً وغنائم الى سوسة وكان من بينها مسلة النصر المشهورة وهي مسلة نرامسن الاكدي ومسلة قوانين حمورابي . وقد أمر شترك ناخونتي ان يكتب على هاتين المسلتين بانه اقامهما تقرباً للاله أنشوسنياك اله العلاميين .

وثار البابليون على العيلاميين وطردوهم من البلاد ونصبوا احد الامراء الكاشيين ملكا عليهم ولكن حكمه لم يدم سوى خمس سنوات كانت الاخيرة في تاريخ الكاشيين اذ عاود العيلاميون الكرة على بابل واحتلوها .. ثم تخلص البابليون من حكم العيلاميين بقيادة احد البابليين واسمه مردوك شابك زيري الذى لم يكن له اية صلة بالبيت المالك الكاشي فنصبوه ملكاً عليهم وقد تمكن هذا من طرد العيلاميين من البلاد واستطاع ان يؤسس سلالة ملكية لم يدعها باسم بابل وانما دعاها باسم مدينة ايسن ، المدينة القديمة لعبادة الاله شماش . وقد بقي الشعب الكاشي فى هذه الفترة يعيش في البلاد من غير ان يمتزج بالشعب أو يضطهد وقد امتهنوا الجندية فكانوا خيرة الجنود المقاتلين ، الا ان دورهم السياسي انتهى تماماً فى سنة ١١٦٠ ق.م .

بلاد بابل في زمن الكاشيين :

لم يستطع الغزاة الكاشيون القضاء على القومية البابلية ومحو الحضارة البابلية وتدميرها في اثناء احتلالهم بلاد بابل بقيادة زعمائهم كنداش واگوم وكريندش ، بل لقد انصهروا فى الحضارة البابلية واخذوا كل ما عند البابليين من ثقافة وعلوم وفنون وآداب وكتابة ولغة ، فبقيت القومية البابلية محافظة بذلك على عنصريتها مدة اربعة قرون . غير ان البابليين فقدوا كل ميزة سياسية وعسكرية وصاروا يهتمون بالتجارة التى جلبت لهم حياة

رغيدة وأرتهم افاقين جديدة من حياة الانس واللهو والمجون ورفعتهم الى آفاق جديدة في مجالات الفنون ولاسيما الفنون اليدوية كالنحت والنقش والرسم والصياغة ولذلك فقد اصبحت بابل في زمن الكاشيين سوقاً عامرة بالتجارة والنخاسة وبيع الجواري والغلمان ، بل انها اصبحت تعد من أهم مراكز التجارة في عالم الشرق الادنى القديم . فقد كانت القوافل التجارية البابلية تسير الى فلسطين وبلاد وادى النيل ، والى بلاد الحثيين مجتازة بلاد ماري والامارات السورية ، والى بلاد عيلام والهند فتنقل اليها مصنوعات البلاد المجاورة وبضائعها ثم تعود وهي محملة بالبضائع من هاتيك البلاد ولاسيما بالذهب والفضة ، المعدنين الثمينين اللذين كان الكاشيون يحرصون على اقتناء مقادير كبيرة منهما لسد نفقات الدولة والجيوش وتشييد المعابد والقصور وصرفها على مشاريع الاصلاحات الداخلية كالرى وبناء الحصون واقامة السدود والجسور . فقد زوج الملك الكاشي كريندأش ابنته لفرعون مصر امينوفيس الثالث لقاء مهر ثقيل من الذهب صرفه على بناء معبد الالهة إنتا في الوركاء .

اشتهرت بلاد بابل بتجارة الحبوب والزيوت والجلود والماشية وصناعة النسيج والاختام الاسطوانية ولاسيما المصنوعة من حجر اللازورد ، ثم بصناعة الحلى وبتجارة الاحجار الكريمة والعقيق والفيروزج والخيول وصناعة المركبات وكانت هذه البضائع تباع بالذهب والفضة . ولكثرة ما كان من المجوهرات في اسواق بابل فان احد ملوك الحثيين الذين زاروا بابل قال عند عودته الى عاصمة ملكة ختوشش : « ان المجوهرات كالقش في بلاد بابل » . ولضمان سير القوافل التجارية بين بلدان الشرق الاوسط القديم بأمان ، فانه كان يتطلب اقامة علاقات سياسية حسنة بين هاتيك البلاد ولذلك فانه كان يسبق تسيير القوافل التجارية ارسال السفراء الى بلاطات الملوك في طيبة والعمرنة وختوشش ووشوكّنّي (عاصمة الميتانيين الغربيين) والى آشور وبابل وكانت تعقد المحالفات والمواثيق ويتم الزواج السياسي بين الملوك وتوضع قوة عسكرية مهمتها مرافقة هذه القوافل التجارية في

اثناء تنقلاتها . وقد كان الكاشيون يتبعون جميع الوسائل الضامنة لحرية سير قوافلهم ، حتى انهم كانوا يقومون بارسال الآلهة والاطباء الى بلاط فرعون مصر والى بلاط الحثيين وغيرهما . فالملك الكاشى كدشمان إنليل الثانى (١٢٧٧ - ١٢٧١ ق.م.) ارسل وفداً من الاطباء الى بلاط ملك الحثيين وكان رأس هذا الوفد طبيبه الخاص خزاللو لمعالجة الملك ختوشيلى الثالث (١٢٨٢-١٢٥٠ ق.م.) بناءاً على طلبه والحاحه الشديد . وكان الطبيب البابلي خزاللو طبيباً مختصاً بالعيون وله وصفات طبية كثيرة وقد ورد اسمه كثيراً في المراسلات الملكية لما كان يتمتع به من شهرة واسعة في طب العيون فتمسك به الملك الحثي واغراه بالبقاء فى عاصمة ملكه ختوشش . فاضطر الملك الكاشى على ان يرسل رسالة الى الملك الحثى يطلب فيها منه ارسال خزاللو وزملائه واعادتهم الى بابل . ولكى نفهم ما كان لهذا الوفد الطبى من اثر في بلاد الحثيين ، يتوجب علينا معرفة النشرات الطبية التى اصدرها خزاللو وزملاؤه الاطباء . فمنها نشرة طبية عن احدى مغنيات الملك التابعة لمدرسة الغناء الخاصة بالبلاط الحثى التى اصيبت بمرض في عينها واشرف الطبيب البابلى خزاللو على معالجتها وكان يصدر من وقت لاخر نشرة طبية عن حالتها الصحية . وتقول احدى النشرات الطبية :-

« ان الطبيب خزاللو فحصها وتأكد من مرضها ، فأمر باعادة وضع الكمادة التى رفعت من عينها فربط بها عينها مرة ثانية » .

وتصاب فى مدرسة الغناء نفسها أميرة بالحمى فيعمل لها هذا الطبيب الضمادات ويسقيها الدواء اللازم فتستريح وتهدأ ويظهر انه كان مع هذا الطبيب ، طبيب بابلى آخر اسمه مكلّم ، مختص بالامراض الداخلية وقد قام بفحص المغنيات والمغنين في بلاط الملك واهل بيته وقدم له تقريراً بالنتيجة يقول له فيه :-

« ان حالة المغنين والمغنيات واهل بيت سيدى الملك جيدة . وقد اصيبت عترتو بهذا المرض وان صحة بنت كورى وآخوني في تحسن . فاذا امر

سيدى فانهما يستطيعان مغادرة غرفة المرض (المستشفى) والذهاب الى المدرسة . ودلائل الحمى على بنت مُشتللو قد خفت وتحسنت حالتها وقد كانت من قبل تسعل اما الآن فلا تسعل » .

مظاهر الحضارة البابلية في زمن الكاشيين :

الهندسة المعمارية :

حاول ملوك الكاشيين امثال كريندداش وبورنابورياش وكورى كلزو الاول وكورى كلزو الثانى تكوين هندسة معمارية خاصة بهم فقاموا بتشييد عدد من المعابد والقصور في جميع المدن السومرية : اور واريدو والوركاء ونفر وغيرها . فقد قام كريندداش ببناء معبد للالهة إننا (عشتار) في مدينة الوركاء طوله ٢٢ م وعرضه ١٧ م يتكون من غرفة طويلة تتصل بعدة غرف جانبية وامام هذه الغرفة الطويلة ردهة مستطيلة لها واجهة من الطابوق المفخور تحمل طرازاً جديداً من الزخرفة البشرية التي تمثل صور الآلهة بهيئة الآدميين أهمها تلك التي تتكون من عدة محاريب تقف فيها الآلهة تحمل بيديها وعلى صدرها الاناء الفوار بالماء العذب الذى ينبع منه مجريان ينسابان الى اليمين والى اليسار ويتساقطان على الجبال ثم يخرجان منها وهكذا دواليك . وهذه الالهة التى تحمل الاناء الفوار بالماء العذب لكل من دجلة والفرات هى الهة الماء العذب الذى ينبع من الجبال ولعلها الالهة ننخرصاك السومرية نفسها التى نعرفها من تل العبيد من زمن سلالة اور الاولى ٢٥٠٠ ق.م. والتى هى بقي الاعتقاد فيها سائداً في زمن الكاشيين . ويقف بجانبها في المحراب الثانى ، الاله الجبلى عند الكاشيين ولعله الههم الرئيس الاصلى « كشو » . وله لحية وهى من مميزات الآلهة عند الكاشيين ويحمل كذلك بيده وعلى صدره الاناء الفوار بماء الحياة . ومن الواضح ان يكون هذا التعبير الرمزى قد بقي عند الكاشيين ايضاً دلالة على استدامة الحياة كما كان عند السومريين والاكديين .

كان المعتقد عند علماء الآثار أن الكاشيين ادخلوا هندسة جديد في

البناء وهي استعمال الاطواق أو الاقواس على شكل نعل الفرس في مداخل القصور والمعابد والبيوت وابواب اسوار المدن ، ولاسيماالاقواس المزدوجة التي نشاهدها في مباني الكاشيين الباقية في مدينة اور من زمن بورنا بورياش وكورى كلزو الاول والثاني . ولكن الحفريات التي اجرتها مديرية الآثار العامة في اريدو في سنوات ١٩٤٦ و ١٩٤٧ و ١٩٤٨ اظهرت ان الاقواس كانت معروفة عند السومريين من زمن عصر الوركاء ٣٣٠٠ ق٠م٠ ولاشك ان مدينة كورى كلزو (عقرقوف) التي تبعد عن بغداد بمقدار ١٧ كم غرباً ، تمثل نماذج جديدة من الهندسة المعمارية الكاشية التي اضافهـــا الكاشيون على مظهر البناء الخارجي حيث ان مخطط البناء بقي كما كان معرفاً عند السومريين والاكديين والبابليين .

وقد ولع الكاشيون بادخال المحاريب في المباني ولاشك ان التنقيبات المقبلة في دور كورى كلزو ستكشف لنا معلومات جديدة عن هندسة البناء عند الكاشيين وهنا يجدر بنا ان نذكر شارع المحفل عند قدمي الزقورة يتكون من محاريب كبيرة ملونة باشكال الكهنة بالالوان الاحمر والابيض والاسود وقد كشفت عنه مديرية الآثار القديمة العامة في اثناء تنقياتها التي اجرتها بين سنتي ١٩٤١ و ١٩٤٢ في اطلال المدينة . كذلك كشفت عن عدة مباني كبيرة ، من ضمنها قصر للملك كورى كلزو ومن المرجح ان كورى كلزو الثاني والثالث الذي يسميه الآشوريون كورى كلزو صخرو[1] .

فن النحت :

لم يضف الكاشـــيون شيئا جديداً الى ما كان عند البابليين في زمن

---

(١) راجع نتائج حفريات مديرية الآثار القديمة في منشورات مجلة عـــراق IRAQ لسنة ١٩٤١ ـ ١٩٤٣ وكذلك التقرير الثاني ١٩٤٥ لطه باقر عن الحفريات في عقرقوف . فقد عثر في حفريات مدير الآثار العراقية على عدد من القصور وعدد كثير آخر من رقم الطين كما عثر على عدة تماثيل محطمة وعلى تمثال للملك كورى كلزو الثالث يحمل على ظهره كتابة بالخط السومري الذي كان يستعمل يومذاك التواريخ والـكتابات باعتباره خطـا مقدسا .

سلالة حمورابي من فنون ولم يدخلوا عليها اتجاهات واساليب اكسبتها طابعاً فنيا مميزاً نستطيع ان ندعوه بالفن الكاشي وبالنظر الى انهم كانوا اقواماً همجاً ليس لهم قاعدة حضارية لذلك فقد اعتنقوا المدرسة البابلية واعتمدوا على الفنان البابلى الذى ادخل على مدرسة الفن في زمن الكاشيين بعض المميزات والخواص التى اكتسبت بمرار الزمن طابعاً لعهد الكاشيين يميزهم عن غيرهم من الشعوب وهذه الخواص الجديدة نجدها بوضوح في :ـ

اولاً ـ قلة الاعتناء بنحت التماثيل .

ثانياً ـ اشارات ورموز وزخرفة نجدها على الاختام الاسطوانية بصورة خاصة .

ثالثاً ـ احجار الحدود « كدورّو Qudurru » التى كانت من ابتكار الكاشيين وحدهم ولم تكن معروفة من قبل في بلاد وادى الرافدين .

رابعاً ـ ملء الفراغ بالكتابة والزخارف الهندسية وأشكال الحيوانات وكانت حواشي الاختام الاسطوانية تزدان في الغالب باشكال المثلثات .

خامساً ـ التناظر على الرغم من انه من المميزات العريقة لفن بلادى وادى الرافدين .

وسنأتى على هذه المميزات فى معرض كلامنا على النحت البارز والمدور والاختام الاسطوانية واحجار الحدود . على انه من جملة الخواص المهمة لفن النحت في زمن الكاشيين هو رغبة الفنان الكاشي كما ذكرنا في ملء الفراغ على المنحوتات ولاسيما المنحوتات البارزة فقد كان يملأ الفراغ بالكتابة أو الرموز وقد دفعه ولعه هذا الى ان يمرّر الكتابة على الصورة المنحوتة كما في تمثال الالهة عشتار من حجر الكلس ، والذى عثرت عليه البعثة التنقيبية الالمانية عام ١٩٥٥ فى الوركاء وهو يمثل الالهة إنا ترتدى ثوباً بطيات وشعرها طويل مسترسل على كتفيها وعلى رأسها التاج المقرّن . وقد قام بنحت هذا التمثال وتقريبه للالهة إنا ، الهة مدينة الوركاء الملك ميلى شباك آخر ملوك الكاشيين .

لم يعثر المنقبون في الواقع على نحت بارز ونحت مدور(تماثيل)كثير يعود للكاشيين ولاشك ان ذلك راجع الى قلة الحفريات في المواقع الاثرية الكاشية وبخاصة فى عاصمة ملكهم عقرقوف ومع ذلك فقد عثر على بعض التماثيل ، من ضمنها تمثال كبير جداً ، لكنه محطم يعود الى الملك كورى كلزو الاول ؟ وجد في عقرقرف ولم يعثر المنقبون على تماثيل لملوك الكاشيين الآخرين . وقد توافرت عند المختصين بالآثار وفي المتاحف ولدى باعة الآثار اعداد كثيرة من الاختام الاسطوانية واحجار الحدود ولذلك فان هذين الموضوعين من الفنون في زمن الكاشيين يكشفان لنا صفحة مهمة من فن النحت عند الكاشيين .

الاختام الاسطوانية :

ازدهرت صناعة الاختام الاسطوانية في بلاد وادى الرافدين في زمن الكاشيين ولاسيما في مدينة بابل فقد كان الاقبال على هذه الصناعة كبيراً وكانت الاختام الاسطوانية تشكل اهم مادة من مواد التجارة الخارجية البابلية فقد كانت الاختام الاسطوانية المصنوعة في بابل تطلب برغبة شديدة من الحثيين وفراعنة بلاد وادى النيل وكان الناس يوصون بصناعة الاختام التى يريدونها وينتظرون تصديرها اشهرا عديدة . وقد وجدت نماذج كثيرة من الاختام الاسطوانية البابلية في تل العمرنة (أخيتون) وفي مدينة ختوشش (بوغازكوي) وقد تعلم الميتانيون والخوريون هذه الصناعة من البابليين اذ يغلب على الاختام الاسطوانية الميتانية التى وجدت في ألالاخ العاصمة الميتانية الغربية وفي نوزى العاصمة الميتانية الشرقية الطابع البابلى .

وتبدو الاساليب الفنية على الاختام الاسطوانية من زمن الكاشيين ، الاساليب الفنية نفسها التى كانت سائدة في زمن سلالة حمورابى مع الفوارق والميزات الخاصة بالكاشيين . فقد كان شكلها مستطيل بحاشية عرضية في أسفل الختم وأعلاه ، يحمل بعضها زخارف هندسية بشكل مثلثات وتغطي سطحها شبكة تظهر عليها رسوم لم نرها على الاختام من قبل

ولاسيما صور لحيوانات تدخل لاول مرة في عنصر الفن كزخرفة ومن بينها الحصان الذي هو حيوان خاص بالكاشيين وحدهم[1] . ثم حيوانات أخرى كالغزلان والأيائل والجرادة والحشرة (ذبابة؟) تقف أمام الاشخاص . ولاشك ان الجرادة كانت تمثل عندهم القحط كما كانت الحشرة تمثل الامراض . كذلك نجد صورة القرد داخل المحراب ولاشك ان هذا تأثير فرعوني لان القرد يمثل في الديانة الفرعونية احدى المراحل الاثنتى عشرة للطريق بين الحياة الدنيا والآخرة . كذلك نجد على الاختام الاسطوانية صورة الصليب المالطي ولاشك انه الرمز القديم للاله الشمس عند اهل حضارة القرية في بداية الدور الحجرى الحديث ووسطه بمثل ما نجده على الاوانى الفخارية من عصر حلف ٥٠٠٠ ق.م. على ان أهم ما نجد لاول مرة على الاختام الاسطوانية من زمن الكاشيين ، صورة ابى الهول الذى له وجه فتاة وجسم اسد له جناحان يظهر منهما جناح واحد وهذه ظاهرة جديدة على الاختام الاسطوانية يجدر الاهتمام بها وملاحظتها ودراسة نشأتها واثر انتقالها في الحضارة الغربية القديمة أي الحضارة الحثية وحضارة بلاد وادى النيل .

تتميز الاختام الاسطوانية بكونها تمثل شعار الدولة ، فهى تمثل الملوك والطبقة الارستوقراطية والكهنة وغيرهم وتظهر عدداً من الآلهة ، اما برسمها شخصيا بالهيئة والشكل أو برسم رموزها وقد تجنب الكاشيون رسم الالهة على الاختام الاسطوانية وانتهجوا نهجاً مغايراً للسومريين والاكديين والبابليين وهنا تتضح لنا فكرة الآلهة في نظر الملوك الكاشيين

---

(١) ليست كلمة الحصان كلمة سامية وقد ظهر الحصان لاول مرة في التاريخ في القرن السادس عشر قبل الميلاد عند الكاشيين والهكسوس الذين ادخلوه الى مصر . ومن المتحمل ان يكون الحصان اوربيا جاء الى بلاد الشرق الادنى القديم من حوض الدانوب ومنطقة البحر الاسود . وقد عرف السومريون الحمار « سيسي sêsê » وسماه الاكديون والبابليون حميرّم أو إمّيرم . اما الحمار الكبير أو البغل فكان اسمه حمار الجبل وقد بقيت كلمة سيسي حية في مفردات اللهجة الموصلية وتعنى الحمار الصغير .

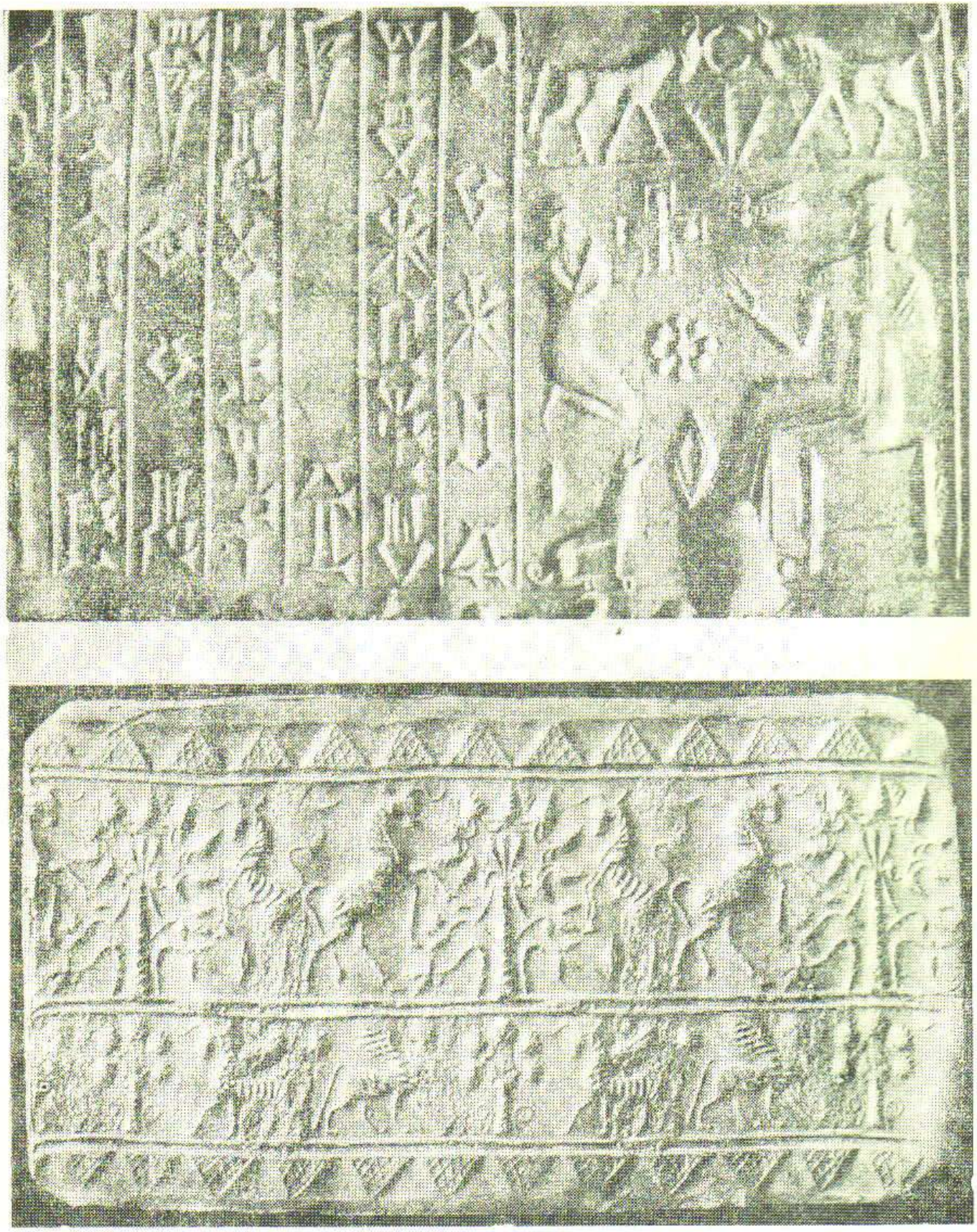

نموذجان من الاختام الاسطوانية الكاشية

بانهم لا يرون الآلهة ولا يكلمونهم ولكنهم يرون اشاراتهم وعلاماتهم ولذلك فقد رمزوا لها بالرموز • وحين نجدهم يقومون بنحت تماثيل للآلهة كما فعل ميلى شباك وغيره فان ذلك مجاراة لمشاعر السكان وزياة في الخشية والتقديس . وتتميز عن الاختام البابلية بكونها اطول حجما منها وبخاصة من الاختام الاسطوانية فى زمن حمورابى وقد بقيت المشاهد الدينية وغيرهـا التى تتعلق بالملك ، نفسها تقريبا كما كانت عليها في زمن دولة بابل الاولى مع فارق واحد هو انعدام صورة الاله في أغلبها . ومن جملة الرموز التى تكثر في هذا الدور هو رمز الاله مردوك وكان يمثل رأس سهم أو رأس مَرّ لان مردوك كان اله الفلاحة والزراعة عند البابليين والكاشيين اضافة الى واجباته الاخرى ووظائفه . كذلك نجد رمز الاله نابو ابن الاله مردوك الذى يعبد في بورسيبا (برس نمرود) ومعبده يدعى إيزيدا ، وكان رمزه يمثل قلم الـكتابة من القصب أو الحديد باعتباره اله الكتابة .

كانت الاختام الاسطوانية تصنع عادة من مواد مختلفة عديدة ومن كل مادة متيسرة صلبة وكلما كانت مادة الختم ثمينة دلت على مرتبة صاحبها ومركزه الاجتماعى والمواد التى كانت تصنع منها هذه الاختام هى اللازورد والزجاج البركانى والبازلت والحجر الرصاصى والحجر السماقي والطين والفرت المزجج (نوع من حجر الـكلس المزجج) •

أحجار الحدود « كدورّو » :

ان احجار الحدود التى تعرف باللغة الكاشية « قدرّو أو كدرّو » ، لها شكل مخروطى ناقص مقسم الى عدة حقول ، فهى اما اربعة حقول أو خمسة حقول أو سبعة حقول وفي كل حقل توجد صور رموز الآلهـة التى تحفظ المقاطعات والممتلكات والعقارات من التجاوز عليها وقد خرجوا على المدرسة السومرية والبابلية كما اسلفنا بانهم لم يرسموا صور الآلهة بـل رسموا رموزها فبدلاً من ان يرسموا صورة الالهة عشتار على الكدرّو ، رسموا رمزها وهو النجمة المثمنة ورمزوا للشمس بالقرص والقمر بالهلال

وللآلهة الثلاثة الكبار ـ آنو وايا وانليل ـ بالتيجان المقرّنة وللاله نركال بالعجل وللالهة نن خرصاك الهة الينابيع العذبة عند السومريين رمزوا لها تارة بالاناء الفوار (الرمز السومرى) وتارة بالضريح باعتبارها الهة الموتى ، ورمزوا للاله ادد بالصاعقة .

واحجار الحدود حدث فى تاريخ فن النحت في بلاد وادى الرافدين فى زمن الكاشيين اذ لا نعرف مثل هذا النحت فى الادوار التاريخية السابقة فقد ابتكرها الكاشيون لتكون حدوداً أو علامات للحدود بين المقاطعات والممتلكات الخاصة والعامة . وعلى الرغم من ان الكاشيين يميلون الى احلال نظام الاقطاع فى بلاد وادى الرافدين الذي كان من صميم تقاليدهم وصفاتهم القبلية الا انهم اتخذوا توزيع الاراضى عصاً سحرية للتأثير على سواد الشعب ولاسيما طبقة الفلاحين واستمالتهم فوزعوا الاراضى وثبتوا ملكيتها بهذه الاحجار ورسموا على واجهاتها كثيراً من الرموز لتكون تعاويذ تدفع الشرور والاذى وتنزل العقوبات بكل من يتجاوز على حدود المقاطعات والممتلكات وعينوا جهات المقاطعة بذكر اسماء المقاطعات المجاورة لها والتى تحاددها وذكر مساحتهاومالكها وذكر أسماء الآلهة التىرسموا رموزها مصورة فى الجهة الامامية من الكدورّو ثم استنزلوا اللعنات على من يتجاوز عليها . وتبلغ الرموز المصورة على احجار الحدود خمسة وعشرين رمزاً فى بعض الاحيان وكانت رموز آلهة الخير ترسم فى اعلى الكدرّو اما رموز آلهة الشر فقد كانت ترسم في اسفل الاحجار فى القسم الذى يغرس في الارض على الحدود .

الرموز الدينية :

كان الكاشيون أول من استعاض عن رسم الآلهة برسم رموزها ، فقد رسم السومريون والاكديون والبابليون الآلهة على مسلاتهم ومنحوتاتهم الحجرية بهيئة البشر وميزوها عنهم بالزي والطابع الالهى الذى اعطاهم اياه السومريون والاكديون والبابليون ، تمييزاً لهم عن البشر . والآلهة في

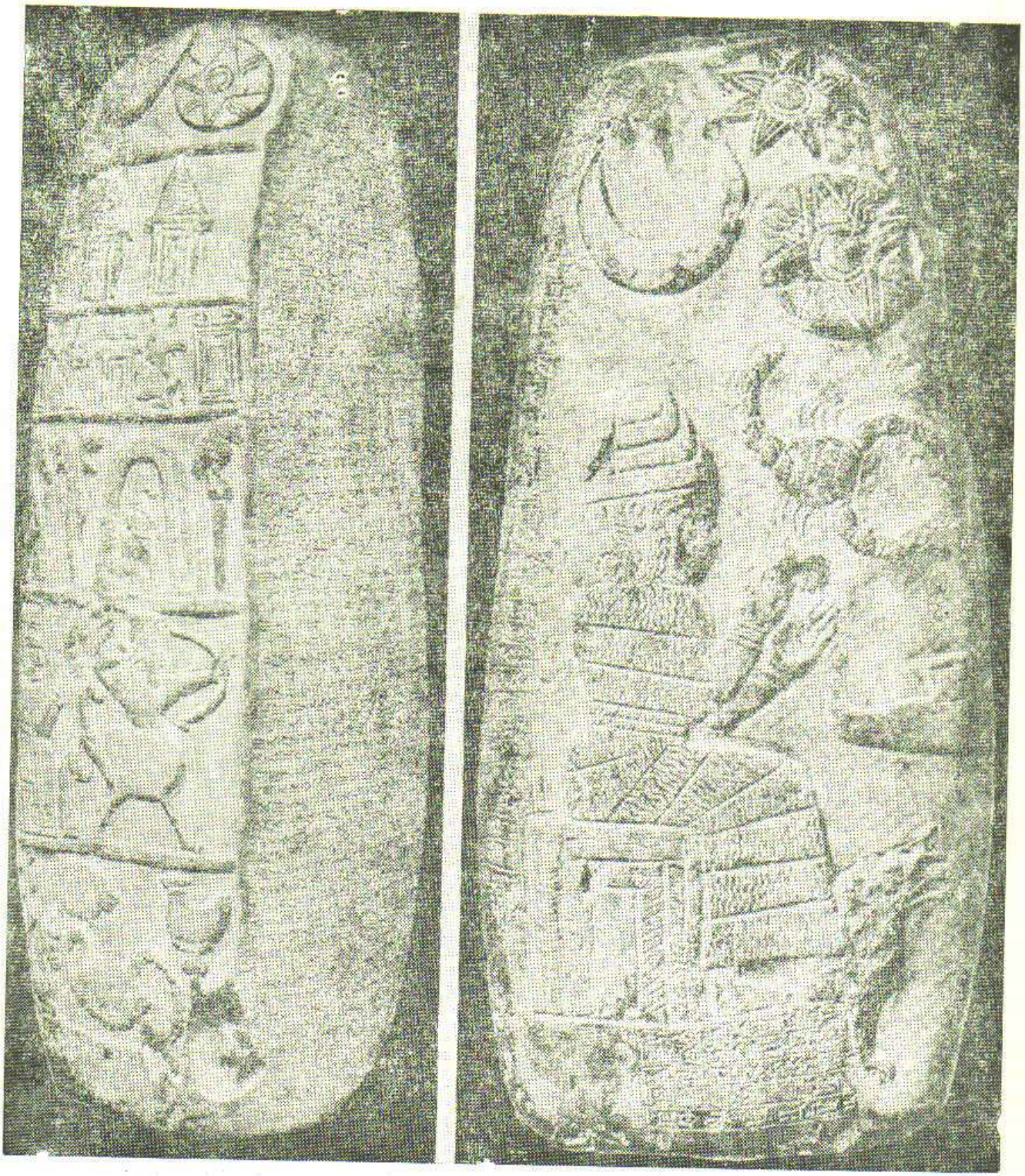

نماذج من أحجـار الحدود « كدورّو » ، وتظهر عليهـا رموز الآلهة والنصوص المسمارية ٠

زمن السومريين والاكديين والبابليين كانت لها هيأة البشر وفق العقيدة العريقة لسكان بلاد وادى الرافدين التى تقول بان الآلهة خلقت البشر على شاكلتها ولكنها تختلف عنها بالحجم واللباس . فقد رسموها ونحتوها ، ذكوراً كانت أم اناثا ، تحمل على رأسها التاج المقرن وتلبس أردية وثياباً من طيات متعددة تخططها اشعة الشمس أو أمواج الماء كما في صورة الاله ننا (ر) اله القمر وصورة الالهة ننكال زوجه في مسلة الملك اور نمو وصورة الاله ننگرصو والاله نن گشزدا اله الطب لمدينة لكش ، فى مسلة گوديا وكذلك في صورة الاله شماش الاله الشمس الجالس فى مسلة حمورابى المشهورة . وما من شك في ان الاكديين اتخذوا الرموز الدينية للآلهة ولكن في نطاق ضيق محدود وعلى منحوتات منفردة فقط لم يعم انتشارها في بلاد وادى الرافدين بعد زوال حكمهم على يد الكوتيين . وندرج على سبيل المثال مسلة الملك نرام سن التى تعرف بمسلة النصر والتى يشاهد فى قمتها ثلاثة رموز بهيئة نجمة مثمنة الشكل تنبعث من بين زواياها حزم شعاعية ، تلتصق جميعها على اطار دائرى خفيف وهى ترمز بالترتيب من الاعلى الى الالهة عشتار آنونيتا الهة الاكديين والهة العاصمة اكد ثم الاله شماش اله مدينة سپار (تل ابى حبة) ثم الاله القمر سن .

وادخل السومريون في عصر البعث السومرى في زمن سلالة اور الثالثة رموز الآلهة ولكن فى نطاق محدود ، حيث نشاهدها على الاختام الاسطوانية بصورة خاصة وكثيراً ما تقتصر على اله معين هو الاله القمرسن وهذا ما نجده بكثرة على الاختام الاسطوانية من سلالة اور الثالثة ويعد طابعاً مميزاً لفن النحت على الاختام الاسطوانية في هذه الفترة وكان رمزه الهلال . ويبدو ان هذا الرمز كان شائعاً في زمن سلالة أور الاولى (٢٥٠٠ ق.م.) ولكن لم نجده على المنحوتات بل في هيأة القوارب التى تتخذ شكل الهلال وقد عثر على كثير من هذه القوارب المصنوعة من الفضة والقير في المقبرة الملكية لهذه السلالة . ونحن اذا ما عرفنا العقيدة السومرية او الديانة قبل السومريين ، التى تتعلق بالاله القمر ننا (ر)

لا نستغرب تصوير قدماء العراقيين اياه بهيئة هلال طالما كان يظهر في السماء على هذه الصورة أو عمل الزوارق بهيئته لان السومرين كانوا يعتقدون في هذا الفضاء الكونى أو فى السماء بانها المحيط الكونى وان القمر ينتقل في ابراجه في السماء بزورق يركبه فيمخر بـه عباب المحيط الـكونى وهـذا الزورق هو الهلال الذى اصبح رمزاً للاله القمر ننا (ر) عند السومريين أو سن عند الاكديين والبابليين والآشوريين . اما هيئته فانها كهيئة البشر وكذلك هيئة بقية الآلهة التى رسموا رموزها على المنحوتات والاختـــام الاسطوانية التى تحمل عروضاً دينية .

فالكاشيون اقتصروا على رسم الآلهة برموزها فقط ورسموا بعضا من آلهتهم بهيئتها الطبيعية التى تشبه البشر ، فرسموا رمز الالـه القمر بهيئة الهلال ورسموا رمز الالهة عشتار بهيئة نجمة مثمنة الشكل ملتصقة بقرص ورسموا الاله آنو والاله إيا والاله إنليل بهيئة تاج مقرّن له خمسة أو ستة قرون متناظرة بشكل مخروطي . كذلك رمزوا الى الاله مردوخ بعلامة المر السومرية التى على شكل سهم مثلث يقف على منصة تشـبه المحـراب وامامه حيوانه المعروف « مشخشو » الذى لـه جسم اسـد تغطيه حراشـف تشبه حراشف السمكة ويداه الاماميتان يـدا اســد ورجــلاه الخلفيتان رجلا نسر وذيله ذيل عقرب ورأسه المرسوم على احجار الحدود يشـبه رأس تنين بقرنين . وقد كان هذا الحيوان رمز الاله إيا ، اله اريدو والاله مردوك ، إله مدينة بابل . كذلك نجد رمز الاله نابو الذى يتمثل بشكل لسان مثلث الشكل ونجد حيوانه امام المحراب والذى يشبه المشخشو ايضاً ويرمز القلم كما مر بنا الى الاله نابو ابن الاله مردوك لانه كان اله الكتابة ثم نجد من بين الرموز رمز الاله ادد الذى يتكون من لسانين من البرق ، يرتكز على ما يشبه المعبد أو المحراب ومن بين الرموز كذلك رمز الالهة نسكو الهة اللهيب ويتمثل بشعلة المصباح كذلك نجد في هذه الرموز رموز الآلهة الحثية ومن بينها رمز الالهة گولا الهة الرعاة وهو الذى يتمثل فى صورة حيوانها الـكلب وكثيراً ما كانت ترسم بهيئة امرأة جالسة على معبد

وعليها ثوب يشبه ثوب الاله شماش وعلى رأسها تاج مقرن بعدة قرون تتدلى على كتفيها خصلات شعرها ويربض بجانبها كلبها . كذلك نجد بين هذه الرموز رمزاً يمثل رأس كبش فوق مصطبة المعبد وامامه صور معز جبلي ، ولعل رأس الكبش يرمز الى الاله الكاشي مروتّاش والمعروف ان رأس الكبش يرمز في بلاد وادى النيل الى الاله آمون . ثم هناك رمز آخر يمثل رأس الديك ويرمز الى الاله مشلم طائى وهو أحد الآلهة الكاشيين ورموزاً كثيرة أخرى ترمز الى الآلهة القديمة التى جاء بها الكاشيون الى بلاد وادى الرافدين ، منها الآلهة شوكامونا وشومالیا ودمگال نونا[1] .

ويجدر بنا وقبل ان نختتم بحثنا عن الحياة الفنية في بلاد بابل في زمن الكاشيين ان نذكر جمود الفنان البابلى في هذه الفترة وتمسكه بالمدرسة الكلاسيكية (السومرية) وأساليبها الفنية وقلة تطوره لاسيما في فترة عاصرت ازدهار الحضارة في البلاد التى عاش الكاشيون معها في اوثق العلاقات وهى بلاد الحثيين وبلاد وادى النيل . ففى بلاد وادى النيل ازدهر لون خاص من الوان الحضارة المصرية القديمة وهو فن التصوير والنقش والتلوين ، الذى أصبح طابعا مميزاً لعصر امينوفيس الثالث وعصر العمرنة ـ عصر امينوفيس الرابع وتوت عنخ آمون ، كما تميز بسمو الذوق ودقة التعبير والحركة وتصوير المشاعر وتقليد الطبيعة لاسيما الطبيعة الملونة بالماء والخضرة والطيور المائية . وابلغ ما نجده فى فن هذه الفترة هو ذوق الفنان والرسام المصري وسيطرته على ريشة الرسم ، ثم ذوقه الرفيع في اختيار الالوان وخلطها وايجاد الانسجام بينها • وقد وجدنا هذه الناحية الفنية بارزة في قصر زمرى لم في ماري وفى بلاد آشور وفى الصورة المرسومة بالالوان على جدران معبد زقورة عقرقوف ولكننا نرى مع ذلك تفوق

---

(١) للاستزادة من موضوع رموز الالهة ، يراجع كتاب :

Jastrow, Bildermappe der Religion

Jastorw Religion of Babylonia and Assyria.

الرسام المصرى على الرسام العراقى القديم بجعل فنه قصة متسلسلة . فقد رسم الفنان المصرى ملوك وادى النيل بادوار مختلفة من اعمارهم ، في عهد الطفولة والشباب والكهولة ثم رسم الفراعنة في اوقات لهوهم وفي اوضاع مراسيمهم الدينية والرسمية بينما نجد الفنان العراقى قد بقي محتفظاً باساليب المدرسة القديمة ، فقد رسم الملوك والاشخاص البارزين في سن معينة من سنوات حياتهم وحاول قليلاً فى اواخر القرن الثالث عشر ان يجعل من فنه لوحة متعددة الموضوعات او موضوعاً متحركاً يشبه الفلم فنحت صورة توكلتى ننورتا فى وضعيات ثلاث للصلاة أمام رموز الآلهة ذلك على قاعدة الرخام يشبه اعلاها اللهيب مما حدا ببعض علماء الآثار ان يعتقدوا بان المنحوتة ترمز الى الالهة نسكو الاله اللهيب .

الحياة الدينية والادب البابلي :

ذكرنا فيما سبق ان الكاشيين انصهروا فى الحضارة البابلية واخذوا عن البابليين الخط واعتنقوا دياناتهم وعقائدهم الدينية وعملوا بشرائعهم وطبقوا قوانينهم في ادارة البلاد وقد وجدنا لدى دراسة معتقداتهم بانه كانت لهم ديانة معينة وباعتبارهم شعبا جبليا فقد كانت معتقداتهم معتقدات سكان الجبال الشرقية نفسها . فكانوا يعبدون القمر الذى يدعى عندهم بالاله شياك وعبدوا الاله شوكا مونا ، اله الجبال واله الحرب كذلك عبدوا اخته التوأم شواليا ، سيدة الجبال المضيئة . وقد تلاشت منزلة هذه الآلهة الرئيسة امام الآلهة البابلية الرئيسة اذ بقيت الالهة مردوك وشماش والالهة عشتار (إنا) تحتل المرتبة الاولى فى معتقدات الدولة الكاشية وهذا ما يظهر بوضوح على احجار الحدود وعلى المبانى والمعابد التى انشأها ملوك الكاشيين واهتموا بها ولم نجدهم ينشئون معبداً لآلهتهم الاصلية . ولعل اعتناق الكاشيين للديانة البابلية واهتمامهم بها وبآلهة بلاد بابل يرجع بالدرجة الاولى الى محاولة الكاشيين لكسب رضا البابليين وبخاصة الكهنة الذين كانوا يتمتعون بنفوذ كبير ويعدون بالآلاف وكانوا منتشرين في كل مكان من البلاد البابلية .

طبقة الـكهنة :

كان الـكهنة في الزمن البابلى والكاشى بل وحتى فى الادوار المتأخرة ينقسمون الى اربع طبقات وكانوا يؤلفون في زمن الدولة البابلية اهم طبقة في المجتمع البابلى واكثرها نفوذاً . وكانوا يشكلون فى زمن الكاشيين دولـة داخل دولة فقد حافظوا على مكانتهم التقليدية منذ العهود السومرية الاولى وابقوا فى ايديهم زمام الحياة الفعلية وبذلك سيطروا باسلوب غير مباشـر على الحكم فى البلاد ، كما كانوا يناوئون السلطة الحاكمة ويزاحمونها في النفوذ وسياسة الامور فى البلاد وكان نجاحهم يتوقف على درجة تفوقهم فى حبك الدسائس والمؤامرات وتأليب الطبقة العامة على الهيئة الحاكمة .

كان فى كل معبد لكل مدينة ، بل ولكل قرية عدد من الـكهنة يتراوح بين عشرة واثنا عشر ، أو تسعة عشر كاهناً وكان يبلغ عـددهم فى بعـض الاحيان اثنين وسبعين كاهنا . وكان لهم رئيس وخـدم ، وفيهـم كهـنة خاصيين بعامة الناس يقومون بارشادهم ووعظهم وتطويفهم في المعابد . ثم كهنة مختصون بعمل التمائم والرقى وبكشف المسـتقبل والظنون وكهنة مختصون بقراءات التعازى والنواح واللّطم وبغسل الامـوات وتحنيطهم وتكفينهم ودفنهم .

وكان هناك كهنة يختصون بالموسيقى والـكتابة والتعليم ـ وهذا يعنى ان مهنة الكتابة والتعليم كانت محصورة بفريق معين من الكهنة .

كان الـكهنة يظهرون فى العهود السـومرية في مراسـيم العبادة والطقوس الدينية التى يقيمونها فى المعابد مستوزرين وزرات تغطى وسطهم وكانوا يظهرون حفاة عراة امام الآلهة ـ من ذلك مشهد الكهنة الذى نجده على الانـاء النذرى من الوركـاء (دور الوركـاء الثانى واوائـل عصـر جمـدة نصر ٢٨٥٠ ق.م.) . اما في العهـود الاكديـة والبابلية والـكاشية والادوار المتأخرة فقد كانوا يلبسون اللباس الابيض المصنوع من الكتان . وكانوا يلبسون فى اثناء مراسيم التكفير عن الخطايا وابداء الندم وصلوات

الغفران اردية حمراء تحتانية وفوقانية وذلك قصد الارهاب والتخويف. ويضعون على رؤوسهم تيجاناً بهيئة الطربوش ذى الشكل المخروطى الناقص . وكان بين الطبقات الدينية من الكهنة غلمان يتبعون طبقة الكاهنات الخاصة بخدمة معبد الالهة عشتار ، وكانوا يتصفون بالخلق الدنيىء وباللواطة التى لم تشر اليها قوانين حمورابى[1] .

كان الكاهن يدعى باللغة السومرية شنگا Shanga وفى الاكدية شنگو Shangu وكانت مهمته الاساسية منذ اقدم العصـــور هى ترأس الاحتفالات الدينية في تقديم القرابين للآلهة[2] .

وكان مسؤولاً اضـافة الى ذلـك عـن ادارة المعبد وكانت وظيفته مرموقة جداً ومحصورة بالطبقة الارستوقراطية ويتدرج من مرتبة كاهن بسيط الى كاهن كبير ثم يصبح كاهنا اعلى للمدينة ويطلق عليه اسم العين En أو العينو Enu وقد كانت هذه التسمية عند الاكديين والبابليين والآشـوريين اما في السومرية فقد كان الـكاهن الاعلى يدعى سـمگامخ Samgamakh وقد اقتبسها الاكديون كذلك سمكامخّو Samgamakhkhu وكان للكاهن الحق فى ان يسكن خارج المعبد ويشـرف على ادارة حقله وبستانه وانعامه وكان مسـؤولاً عن ثروات المعبد الطـائلة وجمع اوقـافه وادارة ممتلكاته . وفى بداية نشأة القرية فى جنوبى وادى الرافدين وفـى دور العبيد حين كان الجنوب يتكون من جزر وبحار كان المعبد هو الذى يشرف على ادارة حكومة القرية او دولة مجموعة القرى الصغيرة اى انه كان يجمع فى يده السلطتين الدينية والزمنية وكان مسؤولاً عن محافظة رعيته ـ سكان القرية أو القرى ـ ومسؤولاً كذلك عن اعالة الناس واذ كان المعبد يملك كل شيىء باعتباره مأوى الالـــه او الالهة التى تملـك الارض

---

(١) راجع :ـ

Meissner, Kulturgeschichte Babylonien U. Assyrien II.

(٢) راجع :ـ Genouillac, Tablettes Sumeriennes Archaiques.

وما عليها من مخلوقات ، من بشر وحيوان ،لذلك فقد كان الكاهن الاعلى أو رئيس كهنة المعبد يوزع الاعمال على الرعية ويقدم لهم المأكل والمشرب والكساء والسكن لقاء الاعمال التى يقدمونها للمعبد . وقد عرّفنا نحن تلامذة التاريخ القديم هذا النوع من نظام الحكم باسم الاشتراكية الدينية . ومن هنا اصبحت للكاهن الاعلى الكلمة النافذة على الناس وصار يجمع في يده السلطتين الدينية والزمنية لانه يحكم باسم الاله طالما كان الاله أو الآلهة لا تولى الحكم الا لمن تصطفيهم من البشر ولذلك فقد حرص ملوك بلاد الرافدين منذ أقدم الازمان ان يكونوا ملوكا ورؤساء كهنة فى آن واحد أو يكونوا على وئام وصلة وثيقة مع كاهن المعبد الاعلى . وهكذا فان كثيراً منهم تلقب بلقب الكاهن الاعلى أو السيد الكاهن اى العين أو العينو ، فقد تلقب گوديا بلقب « السيد الكاهن للاله ننگرصو » ـ وننگرصو هو الاله الرئيس لمدينة لگش (تللو) .

وكان لكل معبد كهنة ورئيس يختلف لقبه بحسب المدينة والسلالة الحاكمة وكان من أهم رؤساء كهنة المدن فى بداية الالف الثانى قبل الميلاد هو رئيس كهنة بابل لاسيما بعد ان تقلد الاله مردوك الزعامة على الآلهة واصبح سيد البشر بيده آجالهم ومصائرهم وقد جاءته هذه الزعامة كما سنرى نتيجة لتقلد مدينة بابل الزعامة السياسية على البلاد في زمن حمورابى ولذلك فقد أصبح رئيس كهنة معبد ايزاگلا ـ معبد مردوك ، اهم شخصية دينية فى البلاد وكان له لقب خاص به يعرف باسم اور يگلو[1] . فهو الذى يدير مراسيم اعياد رأس السنة ويظهر لايام عديدة من اعياد رأس السنة البابلية مرتديا لباسا أبيض ورداءً أبيض من الكتان ويعظ الناس المجتمعين في فناء المعبد الفسيح . فيتكلم لهم عن أمور الدين ويجرى مراسيم للصلاة تشبه كثيرا مراسيم الصلاة والقداس للكنيسة المسيحية ولا يحق لاحد من

---

(١) راجع آكيتو أو أعياد رأس السنة البابلية : مجلة كلية الآداب سنة ١٩٦٢ أو النشرة نفسها للدكتور محمود الامين .

الكهنة الحضور في المراسيم الدينية التى يحضرها رئيس الكهنة فى الايام الاولى من اعياد رأس السنة . وللدلالة على قوة نفوذه فانه هو الذى يقود الملك فى اليوم السابع والثامن من أعياد رأس السنة للحضور في معبد ايزاگلا ويقوده الى مخدع الاله أو محرابه وهناك امام تمثال الاله مردوك يخلع عنه التاج ويجرده من السيف ويأخذ صولجانه (صولجان الملك) ثم يضربه على خديه ويجرّه من اذنه حتى يخر راكعاً امام الاله مردوك وهو يقول « لم اذنب يارب البلاد ولم اتوان عن عبادتك واننى لم ادمر بابل واننى حافظت عليها ولم اهدم اسوارها » .

وكان للكهنة مرتبات وتجرى لهم العطاءات وكان الملك يخصص لهم المنح والهبات من وقت لآخر ويغدق عليهم الهدايا لكسب رضاهم كما كان الناس يقدمون لهم مثل ذلك وتوقف على معبدهم المختلفة والعقارات فتكونت لديهم ادارة خاصة لتسيير شؤون هذه الممتلكات وشؤون المعبد الداخلية وجباية واردات الاوقاف والضرائب الدينية . وكان في كل معبد غرف لخزن الهدايا والنفائس والاموال وكانت تعرف ببيت الخزائن وكان يقوم بتسجيلها وخزنها موظفون من كهنة المعبد .

طبقة الكاهنات :

ومثلما كانت فى بلاد بابل طبقة للكهنة فقد كانت فيها طبقة للكاهنات تخضع لرئيسة كثيراً ما تكون من البيت المالك لكى يهيمن الملك بهذه الواسطة على طبقة الكاهنات والمعبد . وللكاهنات مراتب مثل مراتب الكهنة بالنسبة للاعمال والوظائف التى يقمن بها فمنهن من يختصن بمراسيم تقديم الضحايا والقرابين ومراسيم غسل المعابد وغسل الاموات والقيام باعمال السحر والفأل والتعاويذ والرقى . على ان أهم وظيفة كن يزاولنها هي وظيفة التعليم وتربية اليتامى وتوضيح الامور الدينية للنساء كما كن يتعلمن الموسيقى ويتقنّ الغناء . وكانت رئيسة الكاهنات تسمى « عينتو Entu » في اللغة الاكدية ونن دنكيرا Nin-Dingira في السومرية وقد دعيت في الادوار

المتأخرة ربوتو Rabûtu وقد كانت في الغالب أميرة من البيت المالك وكثيراً ما تكون البنت التى ينذرها الملك الوالد رئيسة للكاهنات لان الملوك السومريين والاكديين والبابليين كانوا ينذرون بناتهم لخدمة الاله ولاسيما القمرسن الذى كان مركز عبادته الرئيسة فى مدينة أور ثم اصبح فى مدينة حران اضافة الى اور فى العهود البابلية المتأخرة . وآخر عهدنا برئيسة الكاهنات هذه هو من زمن الملك نابونائيد ملك بابل الاخير (٥٥٥ – ٥٣٨ ق.م.) الذى كانت امه رئيسة لكاهنات معبد الاله سن فى حرّان وكان ابوه كاهنا آرامياً لمدينة حرّان وقد نذر نابونائيد ابنته لمعبد الاله القمر سن فى اور ونصبها رئيسة لكاهناته ويسمح لهؤلاء العينتو بالزواج من كاهن أو باى شخص آخر ولكن حرم عليهن الدخول فى حانات البيرة أو الوقوف على أبوابها . كذلك حرم عليهن ان يلدن اولاداً ، فان فعلن ذلك فعليهن ان يخفين امرهن ولا يشعرن بـه احداً لان ذلك دلالـة النحس والشـؤم على البلاد والملك وكثيراً ما كن يضعن المولود على قارعة الطريق أو عند عتبة المعبد أو يضعنه فى سلة ويلقينه فى النهر وهذا ما حدث فى الواقـع للملك سرجون الاول مؤسس الدولة الاكدية (٢٣٥٠ ق.م.) اذ كانت امه راهبة – عشيقة الاله القمر سن ، فلما تزوجت والده لاعيبو حملت به ثم ولدته فخشيت عليه وعلى نفسها من القتل فوضعته فى سلة والقته في نهر الفـرات فحمله الموج الى حديقة الملك اورزبابا ملك مدينـة كيش (تل الاحيمر) فرآه البستانى أكّي فاخذه الى داره وطلب من زوجته ان تربيه عسى ان ينفعه ، فلمـا ترعرع وبلغ اشده أصبح بستانيا في حديقة الملك يساعد مربيه ، فاحبته الالهة عشتار وغرمت به فرفعته الى عرش الملك ليحكم ذوى الرؤوس السود . وتذكر اسطورة سرجون بانه صار نديما وساقيا للالهة زبابا ، الهة الحرب لمدينة كيش وذلك قبل ان يجلس على العرش ثم صار موظفاً كبيراً في بلاط الملك وبعد ذلك انزل الملك عن العرش ونصب نفسه ملكاً على البلاد .

وقد ظل تحريم انجاب الاولاد على العينتو أو رئيسة الكهنة ولاسيما

على المنذورات من الراهبات ، باعتبارهن منذورات للاله فهن ملكه ويظهر انه قلما كان يسمح لهؤلاء المنذورات بالزواج أو الاتصال برجل ، بالاخص اذا كن بنات الملوك أو بنات الذوات وعلية القوم حتى لا يكون ماتنجبنه فتنة للناس فيتبعونه باعتباره ابن الاله وعندها يتزعزع مركز الملك فى البلاد ويصبح خطراً عليه . فقد كان الاعتقاد سائداً بين الناس فى بلاد وادى الرافدين وبقية اقطار العالم القديم بان اله المدينة أو آلهة البلاد كثيراً ما يقع نظرها على راهبات المعابد أو المنذورات منهن فينزلون الى الارض ويتزيون بزى رجل غريب ويضاجعونهن فاذا حملن ووضعن ولداً فيكون الهاً بشرياً فى الارض مثل الفرعون فى مصر او الملك الاكدى أو ملوك سلالة اور الثالثة (٢٠٥٠ ـ ١٩٥٠ ق.م.) . وقد كانت طبقة الكاهنات منتشرة في بلاد كنعان الشمالية والجنوبية (فلسطين) كانتشار طبقة الكهنة فيها . وكانت ترقد فوق سرير الذهب في بيت الاله أو المعبد العالي من برج بابل امرأة جميلة وبالاخص فى اعياد رأس السنة لتكون متعة للاله مردوك عند نزوله من السماء وقد ذكر ذلك هيرودوت[1] .

وهناك طبقة أخرى من الكاهنات تعرف فى السومرية بطبقة النوگى Nugig وفى الاكدية بطبقة القادشتو Qadishtu ومعناها طبقة البغايا وهن اللاتى ينتمين الى مبغى المعبد وكان لكاهنات هذه الطبقة سوق رائجة فى الزواج ويحق لهن بعد ان يتزوجن ان يلبسن الحجاب عند مغادرتهن البيت كأية امرأة شريفة ، فاذا لم يجدن من يتزوجهن فلا يحق لهن ان يلبسنه . ثم هناك طبقة أخرى تعرف باسم خريماتى أو حريماتي[2] وتعني المتجولات في الطريق ويكثرن في أعياد رأس السنة التى تقام للالهة عشتار حيث يقمن باغراء الشباب وكن يتزوجن كذلك .

---

(١) راجع هيرودوت : التواريخ ص ١٩٩ .

(٢) ولعلها كلمة حرمة نفسها التي تشمئز المصرية من سماعها اذ تعني بغي ، ومنها الحريم أي النساء اللاتي يتمتع بهن صاحبهن أو صاحب البيت الذي يقمن فيه .

وقد نصح احد الحكماء البابليين ولده بالابتعاد عن هذا النوع من الراهبات ، بقوله : « انها لا تكترث بك اذا ما اصابك مكروه وتطاول عليك في اثناء الخصام ... الخ »[1] .

واذا ما تزوجت هذه الراهبة فانها تحصل على كامل حقوقها ولا يجوز لاحد ان يحتقرها . ولم يكن هذا النوع من بغايا المعبد موجوداً في بلاد آشور وان كانت هناك وثائق عديدة وجدت في بلاد آشور تتكلم عن هذه الطبقة التي لا علاقة لها بطبقة الكهنة الآشورية ولكنها عرفت في كثير من بلدان العالم القديم ، فقد عرفت عند اليهود في فلسطين وعند الاغريق والرومان . وكانت هؤلاء الراهبات يسكن في مكان قريب من المعبد يشبه الدير ويعرف باسم گاگو Gagu كذلك كن يسكن خارج المعبد . ويعتقد بعض الحكماء ان تعاطي هؤلاء الراهبات البغاء انما كان خدمة للآلهة أو لاله معين ومرضاة له فقد كن في أيام الاعياد يقدمن انفسهن للغرباء في مبغى المعبد الذي يعرف عند الاكديين والبابليين باسم بيت أشتمي Bit Ashtammi[2] .

وقد وصف لنا هيرودت البغاء عند المعبد[3] فقال : « انه كان يجري عند العتبة المقدسة للالهة افروديت (أي معبد الالهة عشتار) فقد كانت بغايا المعبد يقعدن وقت الغروب في اسفل حائط المعبد فيمر الغريب فيلقي قطعة من الفضة في حجر من تعجبه منهن ثم تنهض في الحال وتتبعه الى مكان خلف المعبد » وهو مبغى المعبد الذي مر ذكره . واذ نحن بصدد هذا البغاء

---

(١) راجع :
Meissner, Altorientalische Texte und Untersuchungen II 1.33 of.; Zeitschrift der Assyriolgie, XXIII 23,368.

وكذلك راجع رسائل الآباء الى الاولاد ص ١ من منشورات مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر في بغداد ١٩٦٢ .

(٢) راجع :
Messerschmidt, Kelischrifttexte Aus Ashur Historischen Inhalt, II, 18, 34.; Ebeling, Keilschrift Texte Aus Ashur Religiosen Inhalt, II, No. 147.

(٣) راجع المصدر نفسه عن هيرودوت .

المقدس لا يفوتنا ان نذكر ما ذكره هيرودوت وهو أن على كل بابلية حين تتزوج أن يأتي مرة في حياتها الى هذا المكان لتتعاطى الفحشاء في مبغى المعبد مع أول من يأتي اليها من الرجال ثم تذهب بعد ذلك الى بيتها وهي سعيدة بما وفت به من فرض عليها . ويقول هيرودوت أن المرأة الحسناء تجد ضالتها على الفور اما القبيحة فانها تظل تأتي الى حائط المعبد سنوات فلا تجد من يضاجعها ولقد علمت بان هناك من النساء المتزوجات من قد مر عليها سبع سنوات فلم تجد احداً .

وعلى الرغم من هذه الحرفة التي تمتهنها بغايا المعبد فقد كان عليهن ان يتحلين بالفضيلة عند خروجهن من المعبد الى سوق المدينة أو الظهور في احياء المدينة اثناء النهار وقبل حلول الغروب وكان كثير منهن يتزوجن . وقد ذكر احد البابليين السبب الذى دفعه لان يتزوج واحدة من هذه الراهبات ، « بانه يحبها على الرغم من انها كانت بغيّا » .

والاسم الدارج للراهبة أو الكاهنة هو شنكيتو Shangitu أو زاكيتو Sagitu وقد كانت هذه الطبقة من الراهبات معروفة في بلاد وادى الرافدين منذ اقدم العصور ولعلها تكونت بالذات من نذر الوالدين (من الطبقة العامة) ما يأتيهما من نسل لمعبد معين أو من الايتام أو من اللقطاء الذين كانوا يرمون امام عتبة المعبد كما ذكرنا او بنتيجة الفقر . فكثيراً ما يعجز الوالدان عن اعالة اولادهما او تعجز الام عن اعالة اولادها بسبب وفاة الاب فتهب اولادها للمعبد[1] .

وهناك وثيقة خطية لام تقدم ولديها لمعبد اى أنّا E-Anna وهو العتبة المقدسة للالهة إننا (عشتار) فى مدينة الوركاء جاء فيها :ـ

« وفي وسط الحشد وأمام مدير ادارة معبد إى أنا ، صرخت أم وقالت :ـ

---

(١) راجع :
Yale, Oriental Series, Researches I, No. 45, II, 22.

ان زوجي توفّى وعمّت المجاعة في البلد لذلك جئت بولدي الصغيرين شماش ايريبا وشماش ليعو ووسمتهما بنجمة عشتار وانى اقدمهما لربة اورك . ابقوهما على قيد الحياة ودعوهما يكونان عبدين لربّة اورك » .

كانت عادة تقديم الرقيق لمعابد الآلهة شائعة في بلاد وادى الرافدين فنحن نعرف من الادوار المتأخرة ان نابونائيد اهدى لمعبد الاله مردوك ومعبد الاله نابو ومعبد الاله نركال ٢٨٥٠ اسيراً ليكونوا رقيقاً لمعابد هذه الآلهة .

الادب الديني البابلي في زمن الكاشيين :

وجد الكاشيون ثروة طائلة من النصوص الدينية تحتوى على قدر واف من الميثولوجيا التى توضح لنا وجهة النظر الفلسفية ـ اى النظرة الى الحياة ـ لسكان بلاد وادى الرافدين القدامى . كذلك توضح هذه الآداب الدينية العلاقة بينهم وبين الآلهة التى كانوا يعبدونها وتشرح لنا البواعث الاساسية التى كانت تربطهم بها وتتحكم بحياتهم ومقدراتهم اليومية .

فلما غزا الكاشيون بلاد وادى الرافدين واستتب لهم الحكم في البلاد لم يكن لديهم من الثقافة الدينية ما يكفى لازاحة المعتقدات الدينية التى توارثها البابليون بمرور المئات من السنين واستبدالها بما كان عندهم من معتقدات وطقوس وميثولوجيا بدائية . فقد وجدوا امامهم ديانة ومعتقدات تزخر بالادب الدينى الرفيع المدون على عشرات من رقم الطين التى كانت تملأ كل معبد من معابد العراق القديم المنتشرة فى كل مكان ، فى المدن والقرى والارياف . ورأوا امامهم طبقة كبيرة ومتنفذة ومتغلغلة فى جميع انحاء البلاد فكان لابد لهم من مجاراتهم وكسب نفوذهم بل انهم وجدوا انفسهم مضطرين الى اعتناق المعتقدات البابلية وابقاء الآلهة البابلية فى الرتب والواجبات التى يحتلونها فى هذه المعتقدات . ولقد رأينا عند بحثنا عن الآلهة الكاشية ان الكاشيين جعلوا آلهتهم الرئيسة الهة ثانوية واكتفوا بتصوير رموزها فى اغلب الاحيان وهذا ما نجده على احجار الحدود والاختام الاسطوانية وقد ازداد الاهتمام فى زمن الكاشيين بالآداب الدينية

الاخرى كقصة الخليقة البابلية وبطلها الاله مردوك فعم انتشـــارهـا في بلاد وادى الرافدين وبلدان الشرق الادنى الاخرى وانتقلت عن طريق الكاشيين الى الحثيين وبخاصة الى مصر وذلك فى القرنين الرابع عشر والثالث عشر وقـد وجدنا عـدداً كبيراً من الرقم الطين البابلية من الزمن الكاشى فى تل العمرنة ، تتناول مختلف النواحى الثقافية والدينية التى كانت سائدة عند البابليين يومذاك . وكان الـكهنة والكتاب المصريون فى انهماك شديد لاستنساخ هذه الرقم ونستدل على ذلك من الاخطاء الكتابية واللغوية والفواصل والنقاط بين الجمل وهى الطريقة التى كانت متبعة في اسلوب الكتابة الهيروغليفية على لفائف البردى .

وانتشرت فى زمن الكاشيين ترجمات الملاحم السومرية التى تتناول الاشعار عن حروب الآلهة فيما بينهم ولاسيما الحرب الطاحنة التى دارت بين الآله لوگال بندا الذى اصبح فى هـذا الدور الالـه مردوك نفســـه وانتصاره على الطائر زو الذى يتمثل فى هيئة جانٍ او مارد وقد كان هذا المارد قد انتهز فرصة انشغال الاله اِنليل فاغفله ودخل مخدعه وسرق الواح القدر وكانت اثنا عشر لوحاً وذلك لكى يستحوذ على السلطة فى السماء والارض فلحق به لوگال بندا الذى كان الاله اِنليل فى معتقدات السومريين ومردوك في معتقدات البابليين ولكن الرياح الجنوبية هشمت احد اجنحته فسقطت الالواح فى البحر فاصبحت الآجال مرتبكة وامسى الموت فى الارض امراً محتوماً وبذلك صار الاله اِنليل فى ديانة السومريين يتحكم بآجال الناس ومصائرهم ، وصار الاله مردوك في ديانة البابليين هو الذى بيده مصائر البشر وآجالهم . وتكتب الواح القدر هذه في رأس السنة ، في اليوم الثانى عشر من شهر نيســان حيث تجتمع الالهـة في معبد ايزاگلا ويترأسهم الاله مردوك فيسجلون آجال الناس اى انهم يكتبون مصير كل شخص للسنة القادمة . وقد وجدنا نسخة مصرية تعود الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، تحتوى على رحلة « نزول » الالهة عشتار الى العالم السفلي ، وهى من وضع السومريين وقد ترجمت الى اللغة البابلية والآشورية ولـكنهـا

انتحات فى العهد الكاشي شخصية الاله نركال بدل الالهة عشتار وعد الاله الذاهب الى العالم السفلي لانقاذ الاله البشرى تموز . وقد كان نركال في الاصل اله الفلاحة والرعاة واصبح الآن اله الشر ومن جملة واجباته الطاعون والتدمير والفيضان والحرب اى جميع مسببات الفناء . وكان قد عامل رسول الهة الموتى ايرش خيكال معاملة قاسية اذ أهانه ، فرجع هذا الى سيدته غضبان . فاعلنت عليه الحرب ولكنها اندحرت امامه وخضعت له ثم تصافيا فى نهاية المطاف وتحابا واصبحت ايرش خيكال زوجته واصبح المسيطر على العالم السفلي . ثم نجد في هذا الدور اسطورة إرّا التى تصور تألم البلاد تحت حكم الالهة السبعة المفزعة وهى الآلهة سبتي التابعة للاله نركال وهم موكلون بمعاقبة البشر وافنائهم فقد دمروا الوركاء ومدينة نيبور وبابل نفسها وحين زال غضب الاله إرّا ، عادت بابل الى سابق عزها ومجدها .

ومن جملة الاساطير الدينية التى اشتهرت فى هذا العهد ، اسطورة أدپا التى انتشرت دراستها بين الطلاب المصريين وقد عثر المنقبون على قسم من هذه الاسطورة فى مكتبة الملك آشور بانيبال في نينوى اذ نجد فيها ان ادپا هو الانسان الاقدم وان الاله إيا منحه الحكمة والعلم ولكنه لا يحصل على الخلود بل يصبح كاهناً عند الاله إيا فى اريدو . ويعتقد بعض المؤرخين ان ادپا هو آدم نفسه وكان خادماً عند الاله إيا فتعلم منه الحكمة والعرفان والطبابة والرقى والتعاويذ وكان مركبا من إله وبشر ومهمته تقديم الكساء للناس وتوفير الخبز والزيت لهم وقد علم سكان بلاد وادى الرافدين القدامى النسيج . وقد حرم من الخلود بسبب اتباعه نصائح الاله إيا حين صعد الى السماء لمقابلة الاله آنو اذ رفض ماء الحياة وخبز الحياة اللذين قدمهما له آنو ، فقد اراد الاله آنو ان يمنحه الخلود ويجعله مخلداً لما اعجبه منه عقله وادبه وعلمه ولكن الاله آنو غضب حين رفض أدپا قبول الماء والخبز عملاً بنصيحة الاله إيا الذى خشي ان يصبح أدپا إلهاً وهكذا نزل الى الارض فشمله الفناء الذى هو مصير كل بشر وقد أصبح أدپا إلهاً في معتقدات الآشوريين .

وقد عمت في هذه الفترة اسطورة گلگامش ، اعظم كوميديا فى تاريخ الادب العالمى ، كتبت باسلوب شعرى يتوسط بين النشيد والاسطورة . كذلك نجد فى هذ الدور اسطورة الالهة عشتار ورفعها الى المكانة الدينية الرفيعة التى احتلتها في معتقدات سكان بلاد وادى الرافدين الجنوبية وكيف انها ارتقت من خادمة جميلة الى ان اصبحت زوجة للاله آنو وازاحت زوجته القديمة ننن ثم جعلها إلهة وامست الالهة المحبة الى قلبه وحصلت على الرداء الالهي والحلى الثمينة ـ ولربما كانت القلادة التى عثرت عليها البعثة الالمانية في معبدها في الوركاء قبل الحرب العالمية الثانية والمعمولة من العقيق الاحمر والمعروضة في المتحف العراقى ـ هى حليتها الالهية . ثم اعطاها الصولجان والبسها التاج الالهي واهداها المعبد الذى يعرف بمعبد إى أنا .

ويمتاز هذا الدور بكثرة الآداب العامة ولاسيما بالامثلة والحكم التى وضعها الكهنة البابليون وبأدعية الندم وصلوات التوبة والتعاويذ وطرد الارواح الخبيثة . وكانت الترتيلات المقدمة للاله مردوك تحتل المكانة الاولى في الادب الدينى عند البابليين في زمن الكاشيين . وكثرت فى هذا الدور الموضوعات عن علم الفلك والتنجيم والكشف عن المستقبل وتفسير ظواهر الطبيعة وعلاماتها ثم طريقة الفأل بالكبد والنظر في اناء مملوء بالزيت . وكان البابليون يحاولون ربط الحوادث الشاذة بمصير الشخص واظهار العلاقة بينهما فمن ذلك قولهم : « اذا ولدت النعجة غزالاً فان أيام الامير تقترن بايام الآلهة أو سيكون للأمير جنود محاربون اشداء . فان ولدت النعجة وعلاً فان ابن الملك سيثور على والده ويغتصب العرش منه او ان بلاد سوبارتو (الاشوريين) سيهجمون على بلاد بابل .